بقايا من ثوب الماضي

(فترات الصبا والشباب)

الكتاب : بقايا من ثوب الماضي (فترات الصبا والشباب)

الكاتب : د/ عبد العزيز أبو مندور

تصميم الغلاف : محمد محسن

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

الطبعة : الأولى ٢٠٢٠

رقم الإيداع: 3264/ 2020

الترقيم الدولي :978-977-6783-37-9

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

0222017260 – 01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بقايا من ثوب الماضي

(فترات الصبا والشباب)

رواية

تأليف

د/ عبد العزيز أبو مندور

أصبح الشباب يسابقون فى مضمار القصة القصيرة والرواية مخلفين وراءهم كتب العلم والمعرفة لأسباب يعلمها الداني و القاصى فليست إلا الشهرة والمال .. لا غير ... !

أما أنا فقد كتبت القصة منذ حداثة سنى .. !

لا تعجب فكلنا حاول ذلك .. رغبة . أو تقليدا ..

وكانت أول قصة كتبتها فى حياتى نكتة أو كالنكتة بكل مقاييس الطرافة واللهو واللعب البريء .. كانت منذ أكثر من خمسة وستون عاما وكنت وقتها بالسنة الثالثة الإعدادية نظام قديم فالشهادة الإعدادية كانت أربع سنوات ؛ فكانت انعكاسا لهواية القراءة التى قد ملكت زمام نفسى منذ الصغر حتى أننى عندما التحق بالمدرسة الثانوية الصناعية بدمنهور – فلم يكن فى بلادنا ولا محافظة كفر الشيخ مدارس فنية فى ذلك الوقت - لم ترق لى دراستها وبرنامجها الدراسي العملي - فقط كنا فى ذلك الوقت تلاميذ بمدرسة الكشلة الابتدائية التى أصبحت فيما بعد مدرسة الشهيد الصحيحي الإعدادية بدسوق التى تغيرت مناهجها واسمها تغير فأصبحت مدرسة الشهيد الصيحي الصناعية للبنات ؛ فلم يتغير موقعها حتى الآن على ترعة البدالة فمازت أذكرها فلم تفارقنى حتى اليوم ولا فارقتنى لحظات وسنوات دراستى بها الأربعة التى تعد أغزر وأعمق أثرا فى حياتى من أى مرحلة تعليمية مهما علت ، بل يزداد شوفى لها ولهفتى لمعرفةأخبار زملائى وخاصة تلامذة ٩/٣ كلما زرت ابن أخى رائحا غاديا فقد اشترى بيت بشارع على قمته حلواني يجاورها .

وعموما ، كنت من وقت مبكر بدسوق مغرما بشراء مجلات أسبوعية للأطفال مثل (سندباد) و(وعلى بابا) ثم ظهرت مجلة (سمير) ، كما كنت أقرأ بعض القصص التى كنت أشتريها من مكتبة (فرج) وهى ذات المكتبة التى عرضت كتبى بعد ذلك بذات فاترينة العرض التي جذبتنى بما تعرضه من كتب للإمام أبو حامد الغزالي) خاصة مثل كتاب (المنقذ من الضلال) و(ميزان العمل) والتبر المسبوك فى نصائح الملوك) كانت تعجبنى عناوين الكتب فمازالت فى مكتبتى حتى اليوم محتفظا بها فقد كانت فاتحة خير لى عندما سجلت رسالتى للماجستير بعنوان (مفهوم السعادة فى الفكر الإسلامي) وكان الإمام أبو حامد الغزالي هو فرس الرهان وكانت كتبه خاصة (المنقذ من الضلال) من أهم مراجع وأصول البحث) .

وطبعا كصبي وشاب فى مقتبل العمر كانت تجذبنى أيضا بشغف كتب المغامرات البوليسية والقوة مثل سلسلة (طرزان) ، ناهيك عن القصص البوليسية مثل (شرلوك هولمز) و (مايك هامر) و (أرسين لوبين) اللص الظريف.

ولا تنسى مؤلفات الكاتبة الإنجليزية الشهيرة (آجاثا كريستى) المدهشة.

ولعلك ستدهش يا قارئ العزيز لو علمت أننى فى تلك السن المبكرة لم أحرم من قراءة مجلات وجرائد كانت فيما يظن لمن هو اكبر سنا منى مثل (الكواكب) و(آخر ساعة) و(روزاليوسف) و (الأهرام) التى كانوا يعتبرونها جريدة السياسيين الكبار - قد شاهدتها أول مرة بين يدي أبى الشيخ أبو مندور يقرها وهو مرتكن إلى جدار بيتنا بجوار دكانه ؛ فكان أغرب ما قرأته فى تلك اللحظة من يوم من أيام سنة ١٩٥٤م تقريبا عنوان ومانشيت كبير يقول (عودة هتلر) ولم أع لحظتها ما هتلر وما عودته إلا أنى كلما تذكرت ذلك لم يغب عنى أن المقصود به هو (جمال عبد الناصر) فقد كانت الدعاية والاعلام الأوربي والصهيوبي (الصهيونية العالمية + الصلبية الإنجليلية) تعمل على تخويف العالم منه كما يفعلون اليوم من نشر فكرة فوبيا الإسلام والتخويف من انتشارها فى أروبا وأمريكا مع أن الاسلام ينتشر بقوة ذاتية فطرية فيه لا تحتاج لكثير عناء ممن يزعمون أنه دعاة والأمثلة كثيرة لا نحتاج له فى ذلك المولف الأدبي ؛ فلا نصدع به رأس الشباب الموهوب حتى يكبروا - ناهيك عن أخبار اليوم ، فكنت أنتظر مقالات كتاب معينيين مثل العقاد والتابعى وإحسان عبد القدوس ورجاء النقاش و أعمدة دائمة لعلى أمين ومصطفى أمين وغيرهم .

تلك مقدمة بسيطة حتى لا تضحك على فكرة أول قصة كتبتها فى حياتى بما فيها من بساطة فى أسلوب عرضها ، فلو كنت أعرف لاحتفظت بها ، فقد شدتنا بعد ذلك مغامرات وأفلام خيالية تكاد مقتبسة مما كتبت منذ ما يقرب من سبعين سنة .

والقصة بلا عنوان ، فبطلها هو العنوان فقد كان يقوم بمغامرات كل أبطال القصص التى كنت أقرأها فى مجموعاتى المحببة .. وكان ما أظن أننى لم أقراه من أحداث قصصية ومغامرات فمن محض خيالى .. ولا شك أنك تعرف يا قارئ العزيز أن خيال الطفولة والشباب واسع لا يحيط به إلا صاحب تجربة مثلى !

دكتور / عبد العزيز أبو مندور

بقايا من ثوب الماضى*

لا أستطيع الآن أن أجزم بالقول .. أهى .. هي .. ؟!

أم شبيهه لها تضاهيها فى كل شئ ..؟

فقط .. كأنها هى .. بجواري تسير ملتصقة بى .. كقشرة من غلا ف كتاب جفت من بلل أصابها .. يدى اليمنى حول خصرها .. بعينيها تنظر إلىّ .. فى نهم دافق وشوق مدفوع .. شعرها الأسود الناعم يداعب وجهى .. يدى مازالت حول خصرها .. ترتفع حينا وتنخفض أحيانا .. تتكلم أصابعى بلمس رقيق فوق جسدها .. أنغام العشق الصبيانى تنبعث من بين أنفاسنا المتلاحقة .. نظراتنا المتلاحقة تقول كلاما كقول الشعراء .. قل هو الحب أو ما شئت من أنواعه .. فقط مازلنا نسير .. الطريق أمامنا ممتد وطويل .. على جانبيه رصت البنايات العالية .. فوق سطحه تناثرت أكوام من الحجر والرمل والزلط هنا وهناك فى غير ترتيب أو نظام .. رياح خميسينية تخنقنا بالتراب .. ورغم ذلك ألمح كأن السعادة تغمرها .. لا تكف عن النظر إلىّ .. يشع من عينيها نفس البريق الذى حرت فيه طويلا .. لم أعرف ونحن نسير لوجهتنا سبيلا .. فقط مازالت يدى تطوق خصرها .. والنغم اللذيذ ينساب من بين مشاعرنا المنصهرة .. وهكذا فى الطريق .. عجبت لنفسي .. لست خجلا .. أنا بلحمى ودمى ومجموعة أفكارى وما أحبه من قيم فاضله – لست خجلا .. ..

أما هى .. حدث ولا حرج .. لا تبالى .. تكاد تنصهر بداخلى ..

***

فوق الطريق تناثرت أكوام التراب والزلط .. هذا الرجل المسن .. أنى أعرفه .. كأنه أبى .. فقط يضع على رأسه طربوشا أحمر – كان أبى يرحمه الله يلبس فوق ناصيته عمامة بيضاء .. الوقار يشع من الرجل المسن .. كأنة حزمة نور تنساب إلى مشاعرى ووجدانى .. انه قادم نحونا .. يواجهنا .. تجفل عيني من عينه .. أخفض رأسى نحو الأرض .. يسيطر الاضطراب على أعصابى .. تكاد الدماء تسقط من جمجمة دماغى .. وهى تعلم عنى مالا أعلم .. تعرف عن نفسى أكثر منى .. أو هكذا خيل إلىّ .. استطال شعرها.. غطنى .. أخفت وجهى ... . لم أعد أر ... !

***

* فازت هذه القصة بإحدى جوائز نادى القصة بسبب رؤية الأستاذ الكبير / أنيس منصور ، فلولا لجنته لخرجت من المسابقة بلا جوائز .. !

ولكن – عشقه للفلسفة .. و حبه للأسلوب الرمزي .. خدمها .... فكانت من الفائزين .. !

غـاب الرجـل عـن ناظـرى .. ووجـدانى .. مـازال الطريـق طويـل . وواسـع جـدا .. ابتسـمت كالمنتصرة .. كمـن تقـول .. لم يعرفـك الرجـل ، لقـد أنقذتـك مـن ورطـة .. ليتهـا مـا تبسـمت .. مـا كنـت شـعرت بالضعـة والمهانـة.. اسـتغرقتنى غصـة فى حلقـى .. كادت تقتلنـي ..

***

مـازال الطريـق طويـل وواسـع جـدا .. الوعـورة تـزداد .. الحجـر فى كل مـكان .. والزلـط يـضرب حـذائي بشـدة .. الريـاح الخنيسـينية تهيـل الـتراب فى عينـى .. تتعرقـل خطـواتى .. مازالـت يـدى حـول خصرهـا .. النغـم السـاحر بـدأ يضمحـل ... ، خفـت حدتـه وعذوبتـه .. نسـيت أن الوقـت كان مسـاء ..!

***

مصابيـح الشـارع تبهـر عينـى .. تضعضـع فكـرى .. وأتـوه وسـط الضـوء الغامـر.. ، وظـلال أكـوام الزلـط تزيـد مـن وعـورة الشـارع ..

***

سـيـــــــــينما.. .. ..

حشد من الناس – فوضي – أمام الشباك ..

اقتربنـا .. أنـا وهـى نتفـرج عـلى الصـور المعلقـة .. وقفنـا أمـام لوحـة الاعـلان .. صـورة لفتـت نظـري .. ممثلـة الفيلـم ..عاريـة تمامـا .. ..

***

أخرجـت مـن جيبـي مديـة .. فتحتهـا .. أشرت بهـا إلى الصـورة العاريـة .. كأني هممـت بقتـل الصـورة .. !

- ما أسمك .. ؟ .. رجل بهندام أنيق جدا .. حلته ناصعة البياض ..

بريـق عميـق فى عينيـة .. كأنـه يعرفنـى .. لم أفهـم مـا يريـد ومـا يرمـى .. لكزتنـى رفيقتـى .. المديـة .. أخذتهـا منـى .. حاولـت أن تخفيهـا .. جاورهـا الرجـل .. كأنـه يخـشى مـن وقـوع جريمـة .. أخـذت منهـا المديـة .. فى حـيرة شـديدة وارتبـاك ملحـوظ ... لم أسـتطع التـصرف .. نظـرت .. بـئر بأرضيـة مدخـل السـينما .. فى البـئر ألقيـت المديـة..

- ما أسمك .. ؟ عاود الرجل سؤالى ..

***

كـدت أفهـم .. ربمـا ضابـط شرطـة .. أيظـن أنى شرعـت فى قتـل أو سرقـة .. أيـود القبـض علىّ

بتهمة ما ؟.. واكننى لم أقتل .. وأن كنت شرعت فمن يشهد ..؟

الآن فهمت .. علمت من هو .. وما يقصد ..

***

وهذا الرجل كأنة (معلم) يحاول أن يضرب الضابط بقبضة يده .. حاولت أن أتدخل .. فكرت بسرعة .. أحجمت .. ولم أتدخل ..

نظر إلىّ الضابط مبتسما .. فهمت النظرة وما يرمى .. لم يضربه الرجل .. ولعلة لم يقدر .. ولعلى أتوهم .. وأظن أن الضابط قال : كل هذا الحشد رجالي .. أشراف مثلى ..لا خوف علىّ منهم.. أما أنت .. وسكت.. ولم يكمل .. دفع ثلاثة ممن حوله .. هموا بضربى .. ضاقت أنفاسى وانبهرت .. ربما ضربونى .. والأغلب لم يحدث ، فما وجدت جراحا أو رضوضا فى جسدى ..

***

الشارع واسع جدا وطويل .. يزداد وعورة .. الناس فى كل مكان .. زحام خانق .. وحشد هائل مدفوع نحو الشارع .. وأنا واقف بين نساء .. هذه المرأة جذبتني .. كأنها روسية .. تماما كما وصفها الكاتب الفرنسي (جى موباسان) .. بعيونها الثاقبة .. وثغرها الدقيق .. وأنفها الحاد .. وأيضا بشرتها .. لا توصف .. زرقاء رمادية .. قل هى مزيج من القسوة والرقة .. من الترفع والتلطف .. بهذا كله جذبتني إليها .. اقتربت منها كثيرا جدا .. كأنى بخيط سحرى ربط إليها .. دون سواها دفعت إليها .. شفتاي تقترب من شفتيها .. تلعق شفتيها .. طعم غير مقبول .. برودة سرت فى جسدى .. ابتعدت شفتاى .. هربت بكل مشاعرى منها .. حتى عيناى هربت الى عرض الشارع ..

***

الشارع يضيق .. يتقوقع .. كأني بعروس تزف .. ترتدى ثياب غجرية .. تخفى حتى عينيها.. خلفها ثلاثة يحملون بنادق كأنهم بدو من الصحراء الغربية .. يطلقون الطلقات النارية فى الهواء .. مفرح صوت الطلقات .. مفزع هو أيضا .. من العروس تقدمت امرأة تشبه الخاطبة تماما .. فوق صدرها حملت العروس .. عاليا رفعتها .. انحسر الستر الذى ينسدل على النصف الأسفل .. انكشفت ساقيها .. بيضاء شمعية .. كأنما غرر بى .. كأنها ورطة أن أراها عريانة.. !

***

العروس لعبة بين يدي .. فوق فراشى لعبة صغيرة جدا .. فى ثوب شفاف جدا ..العروس

- اللعبـة- تقفـز فى الهـواء كأنهـا فراشـة فضيـة .. تخلـع مـا فـوق الصـدر .. تظهـر نهديهـا ..العـروس – اللعبـة – تقفـز فى الهـواء عاريـة تمامـا .. فـوق فـراشى عاريـة تمامـا .. لا تسـيل لعـابي .. العـروس – اللعبـة - تبـذل جهـدا أكـثر مـما تطيـق .. لا تسـيل لعـابى .. ترقـص .. تتلـوى كأنهـا تقـوم بعمليـة تجيدهـا تمامـا .. لا تسـيل لعـابى .. العـروس – اللعبـة – تقفـز فى فضـاء الحجـرة .. قفـزات مجنونـة .. لم أفهـم شـيئا البتـة .. مازالـت تقفـز بحـركات عصبيـة .. أعـلى مـن سـقف الحجـرة .. العـروس – اللعبـة - طـارت عريانـة .. غضبانـة ..

العروس اللعبة – أين ذهبت ..؟

لست أدرى .. فقط فوق فراشى تركت بقايا من ثوبها ..

***

الآن أحاول أن أتذكر .. متى رأيت هذا الثوب أول مرة ..؟

كل ما أذكره الآن .. أن رفيقتي فى الرحلة تاهت منى .. هناك عند السينما .. ..

***

إنها .. هى .. هى .. فى الشتاء .. و الصيف ..!

كان شتاء ..

وكان صيفا..

الزمان واحد ..

والمكان واحد ..

ولكنهما مختلفتان فى كل شئ ..

***

عرفتهما .. كنا جميعا طلبة بكلية الآداب بالإسكندرية .. إحداهما أسمها نانى .. والأخرى وفاء ..

***

وكانت نانى تزاملنى نفس المرحلة الدراسية .. بيضاء البشرة .. وجبينها بلون وردي ، لامع ندى .. ووجنتيها كتفاحتين .. عينيها زرقاء فيهما بريق هادئ لماح .. جسدها نحيل .. ورشيق.. تتبع دائما أخر صيحات الموضة .. كلماتها صامته .. دائما صامته .. لا صراخ .. ولا تشنج .. تتكلم بثقة .. بلا انفعال .. وبلا افتعال ..

- إيه يا عادل .. وراك حاجه إنهاردة .. ؟

- لية .. ؟ .. خير إن شاء الله

- أصلى قاعدة وحدى فى البيت ، وعايزاك تقعد معايا ..

- الساعة كام ..

- نروح سوا على طول بعد المحاضرة ..

- ماشى ..

- وفاء ..

- عن إذنك يانانى لاحقك على المحاضرة ..

- وفاء

-.....

وقفت وفاء فى تردد .. استدارت بعصبية .. بمزيج من اللهفة والرغبة والقبول ، وبشئ من البلادة والتردد والرفعة ... لحقت بها سائرا فى تؤده ، ممكنا عينى منها .. هكذا أنت دائما يا وفاء ... تلبس جوربا بالرغم من الحرارة الشديدة .. والعرق الغزير ... تلبس .. جيبة .. ضيقة .. وقصيرة .. تستعصى على مصمم الأزياء أن يدرجها حسب الترتيب والتصنيف المعمول به فى سوق الأزياء ..

***

صحبتها إلى الكافتيريا .. .. جلسنا متقابلين بجوار النافذة .. رياح شمالية من عرض البحر تأتى إلينا تتخلل البنيان .. أخرجت من حقيبتها شال أبيض .. خفيف .. ووضعته على ركبتيها ... سقط الشال .. أكثر من مرة .. عدلته فى عصبية بالغة .. أكثر من مرة .. ثم استمرت فى تعديله فوق ركبتيها كلما مال إلى السقوط .. ثم استمرأت ذلك .. أو ربما إعتادته .. فصرفت النظر عن ملاحقتها ..

- تشربى إيه ....

- لأ.. مش عاوزة .....

- لازم تشربى حاجة .. لم أنتظر منها جوابا .. أشرت إلى سنبو..

- أيوه يا سعادة البيه ..

- شوف الآنسة تشرب إية ..

- مش عاوزه ..

- هات لنا عصير ليمون ..

لمعت عينيها سرورا وغبطة ..

هكذا أنت يا وفاء .. عرفت كيف أعالجها .. وكيف أتعامل معها .. سألتها : عندك محضرات لغاية الساعة كم ...

- عندى .. لا معنديش النهاردة ..

- أمال جاية ليه ؟ ... لازم علشان المكتبة ..

- أبدا .. ولا مكتبة .. ولا حاجة ....

- أمال ليه ..

- أهوه ..

ثـم نظـرت إلىّ نظـرة هـى مزيـج مـن التحـدى ، ... ومزيـج مـن المداعبـة ... والملاطفـة ، فظهـرت عـلى سـحنتها خشـونة .. ملحوظـة .. حاولـت أن تخفيهـا ،.. فاهتـزت أهدابهـا ، ... وأشـاحت بوجههـا فى خجـل ، ... وفى تـردد ،.. وحيـاء ... وخرجـت كلماتهـا كطلقـات الرصـاص .. وهـى تسـتطرد : أنـت حتفتـح معايـا محـضر ..

وكأني لم أر .. وكأني لم أسمع .. قلت فى إصرار : أنا عازمك على سينما بكرة..

- مش ممكن .. إنت فاكرنى إيه ..

وبنفـس الطريقـة ، واصلـت كلامـى ، دون أن أضـع فى اعتبـاري أى إحـراج ، أو اعطـى لهـا فرصـة للحجـج ..

- ليه ..حيمنعوكى فى البيت لازم .. أمال بتقولى إحنا (مودرن) وبتاع ..

- أبدا.. أنا حرة ... بأعمل اللى أنا عاوزاه .. دا حتى بابا لطيف جدا ..

- تبقى أمك هى اللى بتمنعك ..

- بالعكس ...

- تبقى مش واثقة فى نفسك ..

- ازاى بقى .. ؟

وقبل أن تواصل احتجاجها المنفعل ، قلت لها وأنا أنقد سامبو حساب الليمون ..

- يا له بينا .. ورايا محاضرة ... وبكرة - إن شاء الله - حستناكى فى (التريانون) ..

فتحـت فاهـا .. ولم تنطـق .. تريـد أن ترفـض .. تريـد أن تقبـل .. مزيـج متناقـض .. لم تسـتطع أن تفصـح عنـه، ... فاكتفـت بفتـح فاهـا .. وخرجنـا مـن (الكافتيريـا) .. أمـام المـدرج تركتهـا .. وأنـا واثـق أنهـا لـن تحـضر .. وتلقفتنـى نـانى بسـؤال تقليـدى ..

- مالك ..

- أبدا .. البنت دى غريبة جدا ..

- للدرجة دى بتحبها ؟

- أنت شردتى خالص .. يا نانى .. أحبها إيه بس .. أنا فى سلوكها الغريب ..

- طيب .. سبنا من الموضوع ده .. وخلينا فى المحاضرة ...

***

كان الدكتـور رزق بـدأ فى إلقـاء المحـاضرة .. ورغـم ذلـك لم تفارقنـى صـورة وفـاء .. كنـت أقلبهـا فى مخيلتـى عـلى جميـع الاتجاهـات والأبعـاد ..

***

- أهلا عادل .. عامل إيه ..

- ولا حاجة ..

- ومالك قرفان كده ..

- وهى البلد فيها إيه مش مقرف ..

- إنت كمان يا عادل .. أين مبادؤك .. ؟.. والله زمان يا عادل ..

- كل زمان له أصوله .. يا صاحبى «..

- مش قلتلك .. أصول .. وفصول .. وكمان .. صيف .. وشتاء ..

وابتسـم حمـدى وهـو يلمـح بكلامـه الأخـير ، .. وغمـزنى مطـرف عينيـة قائـلا : - هيـه .. عامـل إيـه مـع وفـاء ..

قلت مستفسرا : - وإشمعنى بتسأل عن وفاء ؟

فقاطعنـى بسـيل متواصـل مـن القضايـا .. والنتائـج ، ... وكأنـه يريـد أن يرغمنـى عـلى قبولهـا دفعـة واحـدة ، وبـلا جـدال.. أو نقـاش ..

- أنـت ونـانى متفاهـمان .. لـن تتزوجهـا .. ولـن تتزوجـك .. لا أنـت مرتبـط معهـا بوعـد .. ولا هـى .. لم تكتـب معهـا ورقـة .. ولـن تكتـب ..

وقاطعته فى مكر قائلا : ومن قال لك هذا الكلام .. يا ناصح .. ؟!

- يعنى غلط .. ؟

- طبعا غلط .. فبماذا تسمى العلاقة التى بيننا ؟

- علاقة زمالة بريئة .. تحولت إلى استلطاف .. وتبادل منفعة .. ثم إلى صداقة مغرضة ..

- ومتى كانت الصداقة مغرضة ... ؟ .. مغرضة من أى ناحية .. يا فالح

- ناحيتها هى طبعا .. وأنت بالطبع مستفيد .. البنت حلوة .. والولد شقى .. ..

- أنت فاهم غلط ..

- أنـا فاهـم صـح .. وأعـرف أن حبـك لوفـاء هـو الـذى يمنعـك مـن التـورط مـع نـانى أكـثر مـما

أنـت فيـه ..

- حب .. ؟!

ولم يجـب حمـدى عـلى سـؤالى المتفـرع ، بـل نظـر إلى بنصـف عينـه نظـرة ماكـرة .. قـال فى صـوت ودود : - أنـا منتظـرك عـلى الغـدا ..

***

- شـفت .. يـا فـؤاد .. هـى دى المشـكلة .. فى الوقـت الـذى تتكلـم فيـه عـن الفسـاد والفـوضى الموجـودة فى البلـد ، ... أكـون أنـا أدافـع عـن هـذا البلـد .. وأقـف مـع الجانـب المؤيـد لفكـرة تـرك الأمـور للمسـئولين ، فالوفـاء لهـذا البلـد يحتـاج أن يـؤدى كل منـا واجبـه دون انتظـار لمـا يفعلـه الآخـرون .. هكـذا نتبـادل المواقـف .. منتهـى التناقـض يـا فـؤاد .. !

- كفى جدلا يا عادل ، .. ولنعد إلى ما كنا فيه من حديث .. كلمنى عن وفاء .. ..

- وما دخل وفاء يا صديقى فى هذا الحديث ..

- الكلام عن أى فرد فى هذا البلد كلام فى صميم المشكلة ..

- أجازتك تخلص إمتى .. ؟

: عـادل .. كلمنـى عـن وفـاء .. ودعنـا مـن كل هـذا .. تكلـم عـن الحـب يـا صديقـى ..... تكلـم غـذنى .. فأنـا محـروم مـن سـماع موسـيقى الـود .. والأحـلام الورديـة .. ؟

: مقلتليش .. إجازتك تخلص إمتى ....

: أنـا مسـافر بكـره - إن شـاء اللـه - إلى الجهـة عـلى خـط القنـال عـلى طـول .. لا تراسـلنى حتـى أرسـل لـك .. فالموقـف غـير معلـوم وغامـض ولا احـد يعـرف شـئا .. ماحنـاش عارفـين حاجـة .. حالـة غريبـة تسـود الجيـش .. وضيـق مكتـوم فنحـن فى حالـة .. لا حـرب .. ولا سـلم .. زي بنـدول سـاعة الحيـط .. محلـك سر .. هيـا الآن كلمنـى عـن وفـاء ..

***

ليـس غريبـا أن تراهـا فى قلـب الشـتاء .. فى طوبـة .. زقـد خلعـت الحـورب عـن سـاقيها، .. فى حـين إرتـدت نـانى .. وبقيـة الزميـلات جـوارب مـن كل نـوع ..

***

وصيفـا العكـس تمامـا .. تظـل وفـاء نشـازا بـين كل البنـات .. كنـت دائمـا أريـد مناقشـتها فى هـذا الاختيـار الشـاذ ، .. ولخـوفى مـن جـرح مشـاعرها وإحساسـها المرهـف .. فـإنى أكظـم هـذه الرغبـة .. عـلى مضعـن ..

- أنك تحبها يا صديقى .. وهذا يكفى ..

وابتسم فؤاد .. وهو يرمقنى بنظراته التى غمرت وجهى كله ، فألجمتنى، ... وشعرت أننى جندى أمام قائدة .. وما عليه إلا الانصياع لخواطره .. وأفكاره .. قبل أوامره ...

***

- أهلا يا نانى ..

ولم تهملني نانى حتى أواصل حديثى ، قالت :- فيه إنت ... ؟

مش باين .. من زمان ..

- كنت فى قبريط ..

- ومالك بتتطقها كده ..

- بلدى .. ومن غيرى يعرف نطق إسمها .. ؟ !

- قالت وهى تظهر الإستغراب والدهشة: لم أتعود منك نطقها هكذا من قبل .. كنت تنطقها دائما - أبريط - .. ثم مالك قد صرت تلوى الكلمات ، .. وتكثر من الجدال .. والتحدى ..

- وهل فى ذلك ما يريب ..

- لا أقصد أنى أشك .. ولكن .. ذلك على غير العادة ..

- غلطة..

وقالت فى تبسم مصنوع .. تحاول أن تهرب إلى حيث ترمى .. :

- وسوف تغلط مرة أخرى .. ومراراً ..

وقبل أن أبدى إحتجاجى .. رمقتنى بنظرة مستريبة وواصلت قائلة :

- عاوزاك النهارده .. وحشتنى خالص ..

- أشوف ..

- تشوف إيه .. ؟!!

***

قالت قولها الأخير ، وقد بان عليها الغضب والرفض لهذا الأسلوب الذى لم أتبعه معها من قبل .. لم تكن من الذين يقبلون السكوت على الضغط النفسى .. أو ممن يحتملونه ..

كانت مباشرة .. إن لم تصل إلى هدفها بلا إلتواء ، وقفت فى الطريق لا تتقدم خطوة ..

قلت . وأنا واثق أنى أحفزها أكثر إلى مزيد من الغضب

- جائز أحضر .. ربما آجى ..

- حتفكر ..

- طبعا .. كل شئ يسبقة تفكير .. لازم .. يسبقه تفكير ..

***

فتحت فاها .. ظهر عليها الامتعاض والدهشة .. مزيج من الدهشة والغرابة .. والامتعاض .. والغضب .. فتحت فاها كأنها ألجمت بلجام .. ساد الصمت .. وبعد فترة سمعتها تقول ، وهى تنتفض ناهضة من جوارى: - عن إذنك ..

قامت غاضبة .. قطعت عرض الكافتيريا .. وسط الصمت المزعج .. فى ثوان .. لم تضف إلى قولها حرفا واحدا .. أخذت كشكول المحاضرات .. وأولتنى ظهرها .. علمت فى قرارة نفسى أننى لن أراها بعد الآن .. لن تجالسنى بعد الآن .. لن تطلبنى لزيارتها فى المنزل بعد الآن .. لن تسمع .. أو تقبل منى قولا بعد الآن .. تنازعتنى رغبتان .. أو أكثر .. أريد أن الحق بها ، وأجلسها معتذرا .. أريدها فهى ملجأ ومتنفس رغباتى الجارفة .. وأريد أن أطلقها إلى الأبد .. وأحرر نفسى من عقالها ، حفاظا على كرامتى .. وإحترامى لنفسى .. إلى متى هذا الضياع .. ؟

***

وسط هذا الصراع فى تلك اللحظة البرقية .. ووسط الانفعال المشحون المتنازع الرغبات .. انتصب طيف وفاء فى فستان أبيض ناصع فوق رأسها .. إستطالت رأسها حتى بلغت عنان السماء .. طرحة بيضاء .. مطرزه بخيوط من فضة لامعة ، ... وحول رأسها كانت ملايين من النجوم الفضية .. تدور فى تناسق وإنسجام .. وإنغام ملائكية .. تتبعث من الكون الذى يشملنى معها .. وحيدين .. مددت يدى نحوها .. علقت يدى فى الفراغ .. وإنسكب ضجيج الكافتيريا داخل مشاعرى .. يقلق أعصابى .. يشدنى إلى الواقع .. يسلسلنى بالواقع ..

***

شعرت ببرودة تسرى فى أعصابى وأنا أصافح حمدى : مالك ؟ .. أنا شايف نانى خارجة بسرعة .. باين عليها غضبانه ..

- قالت لك حاجة ..

- أبدا .. حتى كل الزملاء مستغربين .. ومكلمتش حد خالص ..

- أحسن ..

عقبت بما قلت وأنا أكذب .. كنت أتمنى أن تكون أخبرت حمدى ، أو غيره من الزملاء بشئ .. ولكنها على ما يبدو، لم تفعل ..

- أحسن ..

قلتها وأنا أكذب ..

***

لم أنم طوال الليل .. الهواجس ملأت علىّ حجرتى .. تصورات مراهقة تقتلنى .. أشباح وخيالات غريبة ومخيفة .. تقبض أنفاسى .. الفراش يميد من تحتى .. أنهض مفزوعا كلما غفوت .. قمت من الفراش .. أضأت النور .. جلست إلى المكتب .. فتحت كراسة الرسائل .. أمسكت القلم .. وكتبت..

.. زميلتى نانى ..

لم يسبق وقطعت معك عهدا ما .. لكن – ما كان بيننا زمالة واستلطاف .. إن كنا تورطنا فى شئ ، فقد كان أحدنا على الأقل يساعد فى ذلك .. إن كان تصورك مخالف ، فنجلس ونناقش الأمور بتجرد تام .. ولنضع أساسا نظيفا نلتقى عليه .. أو حتى نفترق .. إذا افترقنا .. ونحن نعلم سببا للفراق ..

لن أزيد .. سوى أنى مرتبط عاطفيا بوفاء .. وأنت تعلمى ذلك جيدا ..

.. حقا إنها نشاز .. ترتدى الجورب فى الصيف بينما أنت تخلعيه ، والعكس صحيح تماما فى الشتاء .. وهذا ما يدعونى إلى الحيرة من أمرها .. ؟!

ولكن – كل حقيقة لابد أن تنكشف .. فلعل هناك أسبابا تدفعها إلى ذلك .. نعم ممكن أن نتكهنها .. ونخمنها .. ولكن –ولأنى لا أحب الظن .. فلن أترك نفس نهبا لذلك .. والسلام ..

زميلك / عادل .

***

وأشعلت سيجارة .. ثم ألقيتها ودستها بقدمى ، وقطعت الرسالة ..

رغم سهدى طوال الليل .. استيقظت مبكرا جدا .. وفضلت التجوال فى المدينة .. كانت المشكلة أن تهدأ نفسى ..

الشارع طويل .. أطول من أن أقطعه سيرا على الأقدام .. سرت وسط الصخب البشرى .. وزحام السيارات التى تقلق الأرض بسرعتها المجنونه .. لم أطق صبرا على طول الشارع ..

إنحرفت منه إلى شارع صفية زغلول متوجها نحو البحر ... سرحت عيناى فوق الموج العاتى .. منظر البحر يهدئ أعصابى ..

إعتادت عيناى المنظر .. عادت نفس إلى قلقها .. وعاد صخب الشارع .. وهدير الأمواج .. وصفير الريح .. الضيق يتزايد لحظة بعد لحظة حتى بلغ منى ما بلغ .. لا أحتمل ..

سرت بسرعة جنونية لا ألوى على شئ .. كأنى بذلك أحطم القلق .. كل شئ أمام ناظرى تحول إلى شئ واحد .. الوجوه .. العمارات .. الشوارع .. كل الأحجام .. والسطوح .. والألوان .. أمام ناظرى شئ واحد غير معلوم ، يهددنى .. أشرت إلى سيارة (تاكسى) وأنا فى شرود .. لست أدرى لماذا انتبهت قبل أن أركب وقرأت رقم السيارة كان ٦٦١٦٦ .. فى نيتى السفر إلى قريتى – قبريط ..

- على فين يا بيه ؟

رددت بلا وعى : (قبريط) لو سمحت –

وردد السائق فى استغراب : نعم يا أستاذ .. على فين ؟!!

كان مستنكرا أيضا .. وتذكرت أنه تاكسى المدينة .. وتذكرت الرقم ٦٦١٦٦ .. وتردد بداخلى سؤال مقلق لأى شئ هذا الرقم .. أخرجت من جيبى المفكرة بسرعة .. أشرت إلى السائق أن يمضى كيفما إتفق ..

وإنطلق السائق وهو يهز رأسه مستغربا فى استخفاف .. تذكرت الآن .. إنه رقم تليفون..

أى تليفون .. ؟

وقبل أن أفتح المفكرة .. تذكرت أنة تليفون نانى .. وضعت المفكرة داخل جيبى .. وأشرت إلى السائق قائلا : جليم يا أسطى .. وعاد يتردد بداخلى سؤال .. أليس رقم التاكسى ٦٦١٦٦ أيضا .. ؟ .. لعلة كذلك ..

***

عندما نزلت أمام (فيلا نانى) لم يغب عنى أن أقرأ رقم التاكسى ، ... ورغم أنى لم أستطع أن أعيه جيدا إلا أنى خممت أنه إما يكون ٦١٥٢١ أو ١٢٥٦١ ..

وقفت أمام باب(الفيلا) فى حيرة من أمرى .. ولم أقدم على فعل محدد لفترة طويلة .. تقدم منى البواب النوبى .. إنه يعرفنى جيدا .. لم يبتسم لى كالعادة .. تقدم منى بخطواته السريعة دون أن ينبس ببنت شفة .. جلست فى الصالون .. كأني لأول مرة أدخل الفيلا .. إنتظرت طويلا .. شعرت أننى فى موقف جديد لم يحسم فيه قرار .. لم أشعر من قبل بمثل ما أشعر به الآن .. غربة موحشة ، وإحساس بالجفوة .. يعتصرنى .. شعور بالمهانة والذل .. يملأ كيانى كله ..

دخلت نانى فى خطواتها الرشيقة .. لم تتغير حالتى ، .. بل زادت مظاهر الجفوة ، والضجر.. !

قالت دون مبالاة : - أهلا ..

رددت فى بلاهة : - أهلا ..

- اتفضل .. أقعد ..

وجلست .. وكنت أود أن أهرب .. أن أخلص من تلك الورطة .. أود لو أغرق فى نفسى حتى لا ترانى ..

- تشرب إيه ...

- متشكر ...

طبعا متشكر .. بعدما كانت تعرف أنى أفضل القهوة المضبوطة تسألني الآن : تشرب إيه .. وهل جئت لأشرب « إيه « .. ونهضت واقفا فى عصبية .. قالت فى برود : - على فين ..؟

- لازم أمشى ..

- بسرعة كده ..

قالتها وكأنها تطردنى ..

دوار يلف بى ، ... والأرض تنتصب فى وجهى .. حائطا عاليا .. ثم تنهد من تحتى .. دوامة قاتلة .. أريد أن أتقيأ ..

- أستأذن ..

وعند الباب نظرت إليها طويلا ... إلى جسدها الفاتن .. كم مرة تقابلنا .. ؟! .. أريد أن أتقيأ ..

- الوداع ..

- وبصوت مسموم قالت : وهل تقدر ..؟

سحبت يدى من يدها .. وهربت .. عدت إلى التيه .. أضرب على غير هدى .. إلى أين ..؟

***

السماء كانت تمطر .. سيول على غير العادة .. لم نكن فى ذلك الزمان فى ازمة مائية كأزمة (سد النهضة) .. لو أن جهنم فى الأرض لانطفأت من غزارة المطر .. إسائل نفسى : - إلى أين ؟..

دخلت السكن .. لم أجد سوى حمدى رفيقى فى المسكن .. وزميلى فى الدراسة .. كان يحلق ذقنه .. لا أعرف لماذا ضحكت .. رأيت الدم يسيل على وجهة ..

- بتضحك على إيه .. على خيبتك وخيبة بلدك .. الموس زى الزفت ..

- أمال أنا أحلق بيه إزاى ؟..

- لكن أنا معرفش أحلق إلا (بناست) ..

- خلاص .. إحلق (بناست) ...

- مفيش ... كل حاجة النهاردة مفيش .. ناست مفيش .. لحمة مفيش .. سكن مفيش .. كله ممنوع فى البلد دى .. إلا الفوضى .. الله الله .. جرالك إيه .. رايح فين .. ؟

كنت قد أحضرت الحقيبة ووقفت فى الصالة : مروح ..

- وفجأة كده .. يا أخى خليك يوم تانى .. الدنيا بتمطر .. والبلد زمانها زفت .. وطين ..

- أى خدمة من البلد .. ؟

- وهيه البلد فيها إيه غير الفقر ..

***

لماذا السفر الآن .. ليس هذا هو الحل .. الهروب لا يفيد .. عدت مسرعا .. وفاجأت حمدى بدخولى علية ، فلم يملك إلا أن يقول : إيه إلى حصل ..

- لن أسافر ..

- قديمة ..

وكأنه يقول أنا أعرف جنونك وتقلبك .. فقد يطرأ عليك الآن طارئ فتقرر السفر .. عنده حق .. فأنا فى الأيام الأخيرة .. كتوم لا أبوح بشئ .. فضوح لا أكتم شيئا .. ألقيت حقيبتى تحت السرير فى عصبية بالغة، .. لا أعرف لها مدلولا .. مازلت يا عادل على هذا الحال .. حتى تهدأ .. هرولت خارجا.. وخلفى تركت حمدى يستفسر فى استغراب : ... على فين يا مجنون ..... ؟

حقا إلى أين .. أضرب على غير هدى .. من شارع إلى شارع .. الأضواء تغمر المدينة .. كل شئ يلمع ويضئ .. الجدران .. الحوانيت .. المطاعم .. الإعلانات .. _ إلى المخبأ _ .. خلى بالك من زوزو .. الترام .. باكوس .. النصر .. زحام شديد .. كل شئ مضئ .. إلا نفسى .. مظلمة .. شاردة .. مكدودة .. إلى أين .. ؟

زحام شديد .. اشتريت كيسا من الفيشار .. وقفت بعيدا .. لا أريد أن آكله .. طفل حافى القدمين يجمع أعقابا .. إقترب منى .. نظر إلىّ .. مددت يدى نحوه بالفيشار .. رفض يدى .. ورفض الفيشار .. وما زالت عينيه عالقة بى .. ومضى دون أن يقول شيئاً .. مضى يجمع أعقابا .. وكانة يهز كتفه .. استهزاء وسخرية .. صرخ صرخة مدوية .. أرتعشت جوارحى وأهتز كيانى .. منظر مخيف يملأ كيانى .. صديقى فؤاد طارت رأسه .. !

***

فؤاد يعاتبنى لماذا لم تراسلنى .. ؟ .. عنوانى بالجبهة .. فؤاد انصهر بدانة مدفع .. يسخر منى .. يضحك .. ونيران النابالـــــم تحرق وجهه .. تمتد يده المصهورة نحو دانة المدفع .. ترفعها إلى حيث المدفع .. فؤاد ما زال يسخر منى .. حتى أموت شهيدا .. سوف أقذف طلقة .. ينفجر المدفع .. تعبر الطلقة جسرا مائيا .. تسقط فوق الرمل الأصفر .. تنفجر وسط الرمل الأصفر .. الرمل الأصفر يتبعثر .. ويطير .. حتى أموت شهيدا .. فأنا أضحى بنفسى لتعيش أنت .. ونانى .. الرمل الأصفر يملأ كل مكان .. يغمرنى .. يملأ جوفى .. فمى يتقيأ رملا أصفر .. أحاول أن أتكلم .. أن أتحرك .. لا جدوى ..

***

- متفتح يا أستاذ ..

أفقت على فرملة السيارة .. وعجلاتها تنحت الأرض من تحتى .. وأصواتا مخلوطة تملأ سمعى ..

- كان حيضيع فى شربة ميه .. أنا عارف الناس ما لها اليومين دول .. .. .. إنما السواق طلع جدع .. دا كان يكلمه .. ولا عليه حاجة .. يا ناس متقولوش كده .. دا الكلب الواحد بيعمل حسابه .....

***

ألقيت كيس الفيشار من يدى .. أشرت إلى تاكسى : كرموزيا أسطى ..

نزلت على رأس حارة المعدية منزل رقم ٦ .. صعدت السلم .. شقة رقم ٣ .. طرقت الباب .. أضيئت الصالة .. ، ثم اللمبة الخارجية .. فتح الباب .. وكأنى أمام البدر ليلة إكتماله .. كانت وفاء واقفة بين ضلفتى الباب مذهولة ، قبل أن تنطق

- أنت .. ؟! .. .. مش معقول ..

هرولت إلى الداخل وهى تردد : - . ماما .. ماما ..

ثم عادت تعتذر : - بعد إذنك ..

ثم عادت تنادى : - ماما .. ماما ..

وعـادت بعـد لحظـة .. عـادت فى تـؤده وقـد علاهـا البـشر .. والسـعادة .. قالـت فى صـوت حـالم : - أتفضـل يـا أسـتاذ عـادل .. فوجئـت بعـد أن جلسـنا فى حجـرة الضيـوف إنهـا ترتـدى جـورب ..

ولم أفوت هذه الفرصة ..

***

سألتها : - لماذا تلبسين جوربا مع إننا مازلنا فى الشتاء .. ؟ ..

نظرت إلىّ فى عتاب قائلة وهى تشير إلى قدمىّ : - وهل أنت الآن ترتدى جوربا .. ؟!

حقا لقد غاصت قدماى فى المياه التى غمرت الحارة بفعل الأمطار ..

وسمعتها تردد وهى تبتسم : - ثم أنى الآن فى البيت .. والجورب كما ترى من الصوف ..

وكان لابد من سؤال أخير: ولماذا فى الصيف .. لماذا تلبسين الجورب فى الصيف .. ؟!..

ولكنـى خجلـت مـن نفـسى .. فلعهـا فى الصيـف ترتديـه لأنهـا لا تملـك أن تفعـل ذلـك فى الشـتاء .. يـا لـه مـن اختيـار.. !

***

الحاجــز

هذا الملف لم يعد سرا ، فقد حان كشفه بكل ما فيه من تدنى .. و رقىُ .. !

***

الحاجـــز

إنهـا هـى .. هـى نفسـها .. لم تـدرك أبـداً .. ولم تحـاول أن تستشـف مـا حولهـا .. لم تحـاول أن تفهـم حقيقـة أمرهـا ... فلـم تسـأل يومـا عـما يعتريهـا مـن مشـاعر ... ومـا يحتويهـا مـن أفـكار متطلاطمـة كأمـواج البحـر ..

***

إنهـا اليـوم غيرهـا بالبارحـة ... تتعجـب مـن حالهـا .. فلـم يكـن مـن المعتـاد ان تسـال عـن شـئ ..

ولكنهـا اليـوم تبدلـت أحوالهـا .. وتعجبـت مـن نفسـها .. فقـد باتـت سـؤولة .. تريـد ان تعـرف مـا لم تكـن تفكـر فيـه مـن قبـل ..

تساءلت بينها وبين نفسها : هل تقف بها الحياة إلى هذا الحد من الدوران .. ؟!

هل يتوقف الزمن على تلك الصورة الغير مرضية ..؟

هل تظل هكذا فى وضعها الحالى .. ؟

إن حدث ذلك فإن يأسها القاتل – حتما – سيوقف كل ما حاولت تغييره ..

هل ينقلب حلمها وأملها الذى ملك كل أمرها رأسا على عقب ..؟ ..

وتساءلت للمرة الألف : هل هو بهذه المناورات التى عهدته عليها يحاول إثارتها .. ؟! ..

إنهـا لا تـدرى سـببا لمناوراتـه العديـدة .. وحركاتـه المثيرة .. ودقـات قدميـه السريعـة القويـة وهـى ترتقـى السـلم .. تـكاد تحطمـه .. لا لشـئ إلا ليسـمعها بقدومـه .. وجسـده الرشـيق القـوى عندمـا يلتقـى حيـث مضجعـه بعنـف .. لا لشـئ إلا ليوقظهـا مـن نومهـا .. وكأنـه بذلـك يحـاول إثـارة الرغبـة فى نفسـها ..

***

إنـه يجاورهـا فى المسـكن .. ولهـذا فإنهـا لا تنـام .. إنـه يسـكن بالشـقة رقـم (١٣) .. جـدار حجـرة نومـه مشـترك مـع جـدار حجـرة نومهـا .. وكأن ثمـة لعبـة جديـدة يبغـى مـن ورائهـا شـيئا

مـا فى طياتـه .. ورغـم كل هـذا فهـى لم تـدرك بعـد مشـاعره .. إنهـا تتهمـه دائمـا بأنـه يثيرهـا .. وتتوهـم .. بـل ترسـم فى مخيلتهـا صـورا .. وخيـالات تجعلهـا تؤكـد أن هنـاك شـيئا يجعلهـا تفكـر فيـه .. لابـد مـن وجـود هـذا الشـئ .. أمـن المغقـول أن تكـون أفعالـه تلـك عفويـة ليـس وراءهـا غـرض .. ؟ لـو كانـت .. مـا كانـت شـعرت بوجـوده مطلقـا .. وكيـف .. ؟! ..

إنـه يشـاركها جـدار حجـرة نومهـا .. يشـاركها حتـى بسـطة السـلم الضيقـة التـى تجمـع بـين بـابى شـقتيهما .. شـئ عجيـب .. غريـب .. إنـه قريـب منهـا .. ولكـن - عينيهـا رغـم ذلـك لم تقـع عليـه .. ولم تتلتـق مـع عينيـه .. ولـو مـرة واحـدة .. ..!

***

سأل نفسه يوما .. هل تحاول مرة وتكلمها .. ولكن كيف .. ؟!

إنـه لم يـر عينيهـا مـرة واحـدة تقـع فى عينيـه .. إنـه لم يلمحهـا تخطـف نظـرة إليـه .. لم يرقبهـا تنظـر إليـه حتـى ولـو خلسـة .. إنـه يراقبهـا جيـدا .. إنهـا لا تحفـل بـه ..

هكـذا خيـل إليـه .. إن كل مـا يعرفـه عنهـا أنهـا تجـاوره فى الشـقة رقـم (١٤) .. ولكنـه لم يلتـق بهـا مـرة واحـدة ... ، رغـم أن بسـطة السـلم الضيقـة التـى تجمـع بابى شـقتيهما ..

وتعجب .. !

لمـاذا يشـغل نفسـه بهـا .. مادامـت غـير آبهـة بـه .. فمـذا يجنـى مـن وراء هـذا الضجـر .. إنـه لا يعـرف عنهـا شـيئا غـير أنهـا جارتـه ..

- لا عليك – لا يجب التفكير فيها .. يجب أن أهملها إهمالها لى ..

هكـذا أكـد لنفسـه يومـا بعـد أن كاد ييـأس مـن محاولاتـه المتكـررة .. العديـدة .. يريـد لفـت نظرهـا إليـه..

إنه يجد شيئا يقهره على التفكير فيها ..

وتسائل هل يوجد حقا شيئا .. ؟! ..

وسرح وسبح فى الفراغ المحيط به .. وكمن فى سريره وتسربل بالظلام .. وأوجس خيفة ..

- وما هو .. ذلك الشئ .. ؟

- ماذا قد يحدث لو حدث ما ينوى عليه ... ؟ .. وما يستهويه .. ؟!

لقد تأكد أن شيئا ما فى نفسه يخفيه .. يكمن فى نفسه .. يشعره بوجودها .. ولم لا .. ؟

إنهـا تجـاوره .. يفصلهـما حائـط مشـترك .. إنهـا قريبـه منـه .. يـكاد يراهـا .. تـكاد عينيـه أن

تثقب الجدار .. وتغوص داخل الغرفة ، تبحث عنها..

أين مضجعها .. ؟

كم ود أن يزيل هذا الفاصل .. لو يستطيع أن يقوم .. ويهدمه..

***

أسباب كثيرة تدفعها إلى التعرف عليه .. ولكنها لا تجرؤ .. وبأى حق تسأل عنه .. ومن يسمح لها بذلك .. ؟

وأصرت على معرفة كل شئ عنه مهما حدث .. ، إلا أنها تطارد تلك الأفكار الطائشة التى تقلقها فتحرمها النوم .. إنها لا تنام .. ولا .. ولن تنام .. وكيف تنام .. ؟!

إنه قريب منها .. يفصلهما قاسم مشترك .. وهمى .. يجب أن يزول .. إنه يشبه ذلك الحائط الذى يفصل حجرتيهما .. كم تود أن تزيل هذا الفاصل .. لو تستطيع ..

ولكن - لم .. ؟..

وأوجست خيفة .. كيف تتخلص من تلك الوساوس والشكوك التى تقلقها .. ، وتدفع تفكيرها إلى التخبط فى ظلمات الوهم ..

ترى لو تضاء تلك الظلمات .. تريد أن تلقاه .. تريد أن تلقى بنفسها داخله .. تملأ ذلك الفراغ المحيط بها .. لو تستطيع .. !

شئ قوى يجبرها على التفكير فيه .. والجرى وراء خيالاتها .. شئ يرغمها على أن تسرح بفكرها فى خيالات لا تنتهى .. لو يسمع صوت أناتها الجارحة .. وهل يشعر بتلك الرغبة الجامحة .. وهل يسمع .. وجيف قلبها .. ؟

حركت قدميها فى رهبة .. ورغبة .. ودقت الحائط الذى يفصلهما .. برفق .. وظنت أن الدنيا ستنقلب .. أشباح تطاردها .. ظنت أنها فعلت شيئا كبيرا .. كأنها ألقت بحقيبة متفجرات على معسكر للعدو .. وعمها الفزع ..

لكنها لم تسمع شيئا .. إذن لم تكن دقات قدمها بشيرا .. ، ولا حتى نذيرا يأتى بعده .. لقاء .. أى لقاء ..

لماذا لا يتحرك .. ؟ .. لو يشعر بها ... ، لو يحس بوجودها .. تكاد تصرخ فيه .. ولكنها أضعف من أن تواجهه بما تريد ..

***

وتنهد بحرقه .. ، وألقى على وجهه ماء الدورق ليفيق من تلك الدوامة التى إجتاحته

.. كيف يفكر هو فى شئ كهذا .. ؟

واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم .. كيف يقبل إنسان مثله مسلم ورع أن يرى تلك الفتاة .. ، وربما تلك المرأة فى ثوب كأنه لا شئ .. ؟ ..

إنه يريد أن يراها عارية .. بين ذراعيه .. يريد أن يستريح من طول سهاد على صدرها .. يريد لو يستطيع .. وهل يقدر .. ؟!

إن عينيه لم تلق عينيها مرة واحدة .. ولكنها الرغبة .. وأراد أن يصرخ .. إرادة تدفعه بكل جوارحه أن يقول لها شيئا .. إنه يشعر بالعجز ..

يشعر بأن أخلاقه وما تربي عليه من فضائل سمحة تقف فى وجهه .. والتقاليد .. والناس .. كل شئ يقف حائلا بينه وبينها ..

***

أهؤلاء هم الحاجز .. والمانع .. ؟

إنهم ذلك الحائط المشترك بين حجرتيهما .. أدرك ذلك .. وأحسه .. وشعر به .. كم يود لو تتحرك .. ، لو تحس بوجوده .. يكاد يصرخ .. ولكنه - أضعف من أن يواجهها بما يريد ..

***

ركبت من مؤخرة الأتوبيس .. كان هذا هو حالها دائما .. إنها لا تركب إلا بعد أن يركب .. إذا تقدم العربة .. كانت هى فى مؤخرتها .. تراقبه .. وتثقب ظهره بنظراتها .. وتجول بين جوانحه لتلتقى بالقلب .. أنها تريد أن تسأله ..

أليس لى مكان عندك .. ؟!

وإن كان .. لماذا لا تعطنى المفتاح .. ؟ ..

***

فطن إلى ذلك الروتين الذى اعتادته دائما عند محطة الأتوبيس .. فكان يحاول .. وحاول مرة أن ينتظر ركوبها .. وانتظر .. ولكنها لم تركب ..

وهمت العربة بالمسير فألقى بنفسه فوق الركاب فى جوف العربة .. بين الضحك الساخر .. ووجد نفسه مسخه بينهم .. وأحس بتفاهة أوضاعه .. وكاد أن يبكى .. كاد أن يلقى بنفسه من العربة إلى الرصيف .. إلى النهاية ..

ولكنه - دائما يشعر بأن النهاية غير قريبة .. يشعر أنها بعيده .. بعدها عنه ..

وظلت واقفه فى انتظار أن يركب .. لماذا لم يركب .. ؟ ..

وهمت بالركوب .. وهل تستطيع أن تتقدمه .. ؟ .. وكيف تحصى عليه سكناته وهى أمامه .. ؟..

لابد أن يركب قبلها .. وركبت وراءه كالعادة فى المؤخرة .. ولكن ركوبها كان متأخرا .. وسمعت ضحكات السخرية ، فظنت نفسها مقصودة بها .. وأحست بأن الدنيا تظلمها ..

شعرت بتفاهة أوضاعها ، فكادت تبكى .. كادت أن تلقى بنفسها من العربة إلى الرصيف .. إلى النهاية .. ولكنها دائما تشعر بأن النهاية غير قريبة منها .. فهى بعيدة بعده عنها ..

***

ومرت الأيام .. كان لابد لهما أن يلتقيان .. الهروب لا يفيد .. التقت عينيها بعينيه .. واحتارت النظرات .. وحملقت العيون .. عيون مفتوحة فى شراهة .. تريد أن تلتهم الآخر فى نهم وقوة .. وترقرقت العبرات فى الجفون .. تجمدت وانسابت فوق الخدود فى بطئ .. رائع .. لذيذ .. وكأن الزمن توقف عند هذا اللقاء ..

***

شعر بأنه قد آن الأوان أن يتخلص من هذا الحرمان .. وكأن الحياة خلقت من أجلهما .. تتحرك بهما .. وتقف عندما يقفان ..

***

نظرات طالت .. وظنا أنها قرون مرت وهما على هذه الحال ، أو كأنهما يريدان أن يعوضا كل ما فات من أيام سابقه .. يعوضا كل ما فاتهما من مواعيد .. وأحاسيس .. ومشاعر ، كان لابد لها أن تتحرك ..

***

وأحست بأن الحياة مع هذا الرجل وليس بدونه .. إنه خليق بها .. ولا أحد غيره .. فيه سمات غريبة تذكرها بالشاطر حسن .. إنه لها .. ملك يديها .. لن تتركه يفلت منها مهما حدث ..

***

وشعر بأن الدنيا ملك يديه مع هذه المرأة وليست بدونها .. إنها خليقة به ولا أحد غيرها.. إنها تذكره بست الحسن .. إنها له ... ولن يتركها تقلت منه أبدا .. !

***

وتلاقت العيون .. وارتعشت الأهداب فى حركات سريعة راقصة .. وانسابت نظراته إليها برفق ، وقفزت نظراتها إليه تريده .. وهمست العيون .. وترامت أنغام تزفهما .. وكأنهما عروسان .. ليلة الزفاف .. تكلمت العيون بما يريدان .. ما كانا يخشيان من البوح به .. فضحته عيونهما .. ما أجمل تلك العواطف النبيلة .. والمشاعر الحميمة .. عواطف رقيقة .. ومشاعر وأحاسيس لطيفة ..

***

وافترقت النظرات بسرعة خوفا من المجهول .. افترقت عيونهما ممتلئة بالسعادة .. بلا موعد .. أو لقاء .. ، وكأن ما كان ما كان ..

وأطبقت جفونهما على أجمل حلم .. وصورة أعظم لقاء ..

إنه لقاء عبر العيون .. لقاء لم يشهد تاريخهما مثله .. فلعل الله تبارك وتعالى أراد بتلك اللحظات الرائعة الجميلة أن يعوضهما عما قاسياه فى الأيام الخالية .

***

وألقى بنفسه على الفراش .. لم يحاول هذه المرة أن يسمعها صوت جسده وهو يلتقى بالسرير .. أنه يطمع فى أكثر من ذلك ، .. إنه يريدها شريكة له فى حجرته .. إنه يريد أن يزيل ذلك الحاجز الشيطانى القاتل .. !

إنه يريد أن يحميها .. ويحمى نفسه من الأفكار الطائشة ..

لم يعد قادرا على تحمل تلك الهواجس الشيطانية .. فها هو النور الذى يربطه بربه سبحانه وتعالى تتسع رقعته حتى يكاد يملأ نفسه ..

إنه قادر الآن على التفكير السليم .. راحته .. وهدوء نفسه .. وطمأنينة قلبه لن تتحقق إلا إذا ارتبط بها بذلك الرباط المقدس ..

***

إنه يتعجل يوما يزفهما الأهل والأحباب فى هذا النور الكاشف .. يريد أن يغلق الأهل والأحباب عليهما باب واحد .. يريد أن يلتقى بها فى فراش تحت حراسة عيون الأهل والجيران والأحباب ..

إنه لن ينتظر ردها ..

إنه واثق فيها كما ثقته بنفسه ...

يريد أن يكون لقاؤها القريب - إن شاء الله .. تحت حراسة نور السماء ..

وزيرة .. الحب .. والزواج.. !

اعتدنا كصحفين أن نسمع .. - بطبيعة عملنا - .. أخبارا كثيرة .. ملفقة ... والعديد من الأكاذيب .. وخاصة إذا اشتدت حرارة الصيف .. وقد وصلت الدرجة ببعض الشلل .. والتجمعات الشبابية أن تستعد للذهاب إلى المصيف .. إلا أن الكذبة هذه المرة كانت غير عادية .. وواسعة .. (شويه) ..

تلقيت بصفتى الشخصية عن طريق الجريدة التى أعمل بها .. ، تلقيت دعوة لحضور المؤتمر الأول لجمعية -الحب والزواج .. !

ولقد أثار اسم الجمعية حفيظتى ، وزادنى حنقا وغيظا أن رئيسة الجمعية امرأة عانس، بلغت من العمر أرذله ... ورغم ذلك فقد ازدادت لهفتى ، وتزاحمت تساؤلاتى ، وانبعث حب الاستطلاع يتعجلنى .. ويتعجل موعد انعقاد هذا المؤتمر الغريب ... ، لهذه الجمعية الغريبة ..

دخلت على رئيس التحرير وكان قد طلبنى .. وكنت أريد أن استوضح منه عن بعض ما دار فى ذهنى من ظنون .. إلا أنه قابلنى قائلا : أريد تحقيقا ضخما .. لقد أخترتك بالذات ..

وضحكت بداخلى .. ، فقد غاب عن باله .. وربما تغافل كطبيعة الإداريين السبهللة .. فتجاهل أن تذكرة الدعوة موجهة إلىّ شخصينا ..

يا له من عجوز غافل !

قلت مستفسرا .. ومستوضحا : يا أفندم سيادتك تعرف تلك العانس المزعجة.. كل الأوساط الاجتماعية تعرفها .. أنها سليطة .. ثرثارة .. كاذبة..

قال بغير اكتراث لملاحظاتى : إحنا فى حالة ركود .. الخبر الموثير غير موجود .. إحنا فى مرحلة سياسية.. ، والمراحل السياسية مراحل ليست مراحل تعقل ودراسة ... ، وعلينا أن نوجه القارئ إلى الأخبار التى تثير انتباهه .. وتصرفه عن الشان العام بل عن شأن نفسه .. نشغله يعنى بتوافه المور ..

- : خاضر يا فندم

- : ما تنساش (رفقى) .. دا أحسن واحد يصور .. خصوصا أن المؤتمر كله بنات وهو ولد حليوه..

وخرجت وأنا فى غاية الضيق .. رغم اشتياقى وتلهفى لحضور هذا المؤتمر ..

دائمـا هـذه العانـس المزعجـة ، كأن العمـل الصحفـى خلـق ليتتبـع خطواتهـا وينقـل عنهـا تلـك المسـائل التافهـة..

ما شان الناس بهذا العبث ؟

النـاس منـذ أن خرجنـا مـن الحـرب وشـاغلهم جميعـا واحـد .. شـاغلهم لقمـة العيـش .. والمسـكن .. والملبـس .. ووسـيلة المواصـلات .. ومصاريـف المـدارس .. فلـم تكـن الـدروس الخصوصيـة صـارت مزعجـة لهـذا الحـد .. ولا كان مدرسـوا الـدروس الخصوصيـة صـاروا بهـذه الشراهـة والأطـماع الماديـة ....

كانـت هـذه هـى اهتمامـات النـاس .. مـاذا يهمهـم مـن أمـر هـذه المزعجـة .. هـذه العابسـة ذات القسـمات الغليظـة مثـل عواطفهـا.. فـلا تشـبهها إلا عواجيـز برامـج التـوك – شـو هـذه اليـام .. وإلا عاريـات الكتـاف والصـدور مـن الممثـلات ومفدمـى البرامـج ..

ردد رفقى فى بلاهة : يا عم ما لنا إحنا والكلام ده .. إحنا علينا نعمل التحقيق وخلاص..

ونظرت إليه شذرا .. ثم استدركت أن الوظيفة بالفعل تحتاج سلوكا عمليا..

***

وحزمـت حقائبـى وأنـا أمنـى نفـسى برحلـة رائعـة فى الإسـكندرية .. ، بلـد السـحر والحـب والجـمال .. فهـذا أقـل تعويـض أقبلـه لهـذه المهمـة السـخيفة..

***

وقفـت رئيسـة جمعيـة (الحـب والـزواج) عـلى المنصـة .. وسـط عاصفـة مـن التصفيـق والهتـاف..

إننـا كصحفيـين نعـرف هـذه العانـس المزعجـة جيـدا .. ولكنهـا الآن تبـدو أكـبر مـما كانـت عليـة أخـر مـرة رأيتهـا فيهـا .. كلـن يـوم الاحتفـال بالنـصر عنـد عـودة الجيـش الثالـث مـن سـيناء..

إنهـا رغـم الخطـوط السـوداء التـى تـكاد تخنـق عينيهـا .. فـمازال عـلى وجههـا مسـحة مـن الجـمال..

إنهـا تبـدو فى وقفتهـا عـلى المنصـة بصدرهـا الـذى يعلـو ويهبـط .. فى حركـة رتيبـة .. كـبركان هامـد ..

لقـد عرفناهـا أيضـا كصاحبـة أغـرب نظريـة .. (رفـض الحـرب مـن أجـل الحـب) .. فهـى تـرى أن هنـاك تعارضـا واضحـا بـين فكـرة الحـرب وفكـرة الحـب ..

ولعل الكثيرون يتفقون معها فى

ذلـك .. ، إلا أن نسـق النظريـة يجعـل الكثيريـن عـلى خـلاف حـاد معهـا .. فهـى تـرى أن الحـروب ضـد الحـب ... ، لأنهـا تسـبب الخـراب وتقـضى عـلى الشـباب .. ، مـما يـؤدى إلى ضيـاع الفرصـة عـلى البنـات فيـصرن بـلا زواج ...

ومـا زالـت تـصر أن سـبب بقائهـا بـلا زواج حتـى الآن أن حبهـا الأول التهمتـه الحـرب عـام ١٩٤٨م .. ورغـم رفضهـا التـام لفكـرة الحـرب .. إلا أنهـا مـع كل هـذا وصلـت إلى حـد التضحيـة والفـداء عنـد قيـام حـرب أكتوبـر ... ، فقـد أيـدت الحـرب بـكل قوتهـا ..

والعجيـب أن تبريرهـا لهـذا ولأول مـرة أن هـذه الحـرب مـن أجـل الحـب وحتـى يسـلم الـشرف..

وقـد قـرأت لـه تعليقـا لطيفـا قالـت فيـه بأننـى عـلى اسـتعداد أن أهـدم كنظريـة فى سـبيل عـزة الوطـن وحريتـه .. ، بـل أننـى عـلى اسـتعداد أن أبقـى بـلا زواج فى سـبيل الوطـن وعزتـه..

كيف لا والوطن تهون فى سبيله

الروح ؟

***

وقفـت .. وكان خلفهـا صـورة زيتيـة كبـيرة لعـروس فى ثـوب الزفـاف كتـب تحتهـا فى خـط عريـض واضـح (يـا فرحـة مـا تمـت) ...

وفى كلمـة قصـيره رحبـت بالحاضريـن .. وأشـارت إلى أهـداف الجمعيـة بسرعـة كـما سـبق لهـا الحديـث فى ذلـك أكـثر مـن مـرة ..

وكان مـن الواضـح أن المعنـى الـذى تقـوم عليـه الجمعيـة هـو مسـاعدة عضواتهـا عـلى الحصـول عـلى زوج مناسـب .. ، وتمكـين العضـو مـن الـزواج بحـل المشـكلات ... التـى تعـترض طريـق الـزواج .. مثـل السـكن .. وتجهيـز عـش الزوجيـة بطريقـة تعاونيـة ..

***

وقلـت فى نفـسى .. : آه لـو عرفـت مـاذا يجـرى هـذه الأيـام فى تجهيـز عـش الوزجيـة وبخاصـة العروسـة الفقـيرة لفـيرات المعدومـة .. لتحـسرت عـلى نفسـها .. ولأعلفـت الجمعيـة بالضبـة والمفتـاح..! .. فانـا كل يـوم أسـمع عـن فقـراء يسـألون النـاس وبـلا خجـل ووقاحـة يتسـولون .. فيـدورون عـلى الجمعيـات الخيريـة لطلبـا لمسـاعدتهم فى تجهيـز بناتهـم ..

وبالطبع هذا لا شئ فيه .. ولا مانع ..

أما أن تشطرت الواحدة .. ولا تقبل ألا تدخل ابنتها مثلا إلا بثلاجة حديثة .. لا يقدر على شرائها موظف كبير .. ولا تطلبها بنت تاجر من كبار الأغنياء .. فهذا مالم أكن أصدقه ..

لقد قالت ابنتى يوما ونحن ننتاقش فى عدم ضرورة هذه الأشياء التى لا تستخدم من الصينى .. واطقم لم تكن نسمع عنها من قبل .. يرجونها فيما بينهم تفاخرا .. (وفشخرة) .. ناهيك عن المفروشات والفوط .. قالت لى : يا بابا .. دى الواحدة بتدخل بأطقم فوط .. وبشاكير كاملة .. لا تجدها فى محل كبير للمفروشات .. !

قلت لها إنهن يفعلن كما يفعل ابنائهن .. فهم يروجون فنلات أندية اجنبية .. وأسماء لاعبين .. لا علاقة لهم بهم .. وليسوا منهم .. ولا هم منهم .. فهم يرجون لشركات لا يعرفونها .. وبلا مقابل .. فساروا وسيلة من وسائل الإعلانات .. فكما قلت لهم انتم تروجون فنلات كرة .. تشترونها بفلوسكم .. وتروجونها لشركاتها بلا مقابل .. فصرتم كعمود النور تعرض عليكم الإعلانات .. فقط عمود النور لهم ميزة عنكم .. لأن مجالس المدن والقرى تأخذ ضريبة على كل إعلان يعلق عليه .. !

***

و جلست رئيسة الجمعية تجفف وجهها بمنديل كان فى يدها .. وكأنها قامت بعمل جبار وشاق..

جلست وسط التصفيق والهتاف بحياة الجمعية .. وبدأت تنادى على العضوات اللاتى طلبن عرض مشا كلهن قائلة : رغم كثرة المشاكل وتشابكها إلا أننا بلورناها فى عدد محصور حتى يمكن مناقشتها .. الآنسة / مرفت عبد الحميد .. تفضلى ..

***

ووقفت الآنسة / مرفت لتعرض مشكلتها بصوت حزين .. قائلة : مفيش ولا شاب بيعاكسنى .. ولا واحد بيقولى كلمة حلوة.. لقد فقدت الأمل كلية فى الحصول على زوج ..

وضجت القاعة بأصوات مشوبة بالحزن . والضيق .. ومالت فتاة ليست جميلة نحو جارتها قائلة : لما مرفت محدش يعاكسها .. وهى على الحلاوة دى .. تبقى إحنا خيبتنا ثقيلة .. قوي ..

وجلست مرفت وسط بكائها المتشنج .. وأصوات حولها تواسيها .. وتطيب خاطرها ..

***

والآن الآنسة / فردوس الأسمر..

هكذا نطقت رئيسة الجمعية منادية على فردوس الأسمر..

وقفت فردوس الأسمر ، فارهة الطول .. فاتنة.. تكاد حرارتها .. وفورة الأنوثة فيها تحرق من يقترب منها .. !

قالت: طيب .. وأنا .. الولد بتاعى كل همه أنه يأخدنى شقته .. عمره ما كلمنى فى الزواج .. أنا طبعا مش مهوداه .. وطبعا مش حروح معاه .. لكن - خايفه أسيبه .. بعدين ملقيش حد ثانى ... بقول يمكن يعقل ويخطبنى .. مش عارفه أعمل إية..

جلست .. وهمهات حقد وحسد تحوطها .. وخاصة أن صديقتها نعيمة مالت على زميلتها قائلة : طيب دى لقت اللى يجبر خاطرها .. أنا لو كنت مكانها كنت حروح معاه الشقة .. هو حيكولنى ولا حيكولنى .. دى خيبة أيه دى ..

***

والآن الآنسة / ماجده عبد المقصود ..

وقفت ماجده عبد المقصود فى ضيق ظاهر فى حركتها .. وفى صوتها الحاد قائلة : وأنا اللى أديلى تسع سنين مخطوبة .. مش لاقية شقة .. أعمل إيه؟ ..

وشهقت فتاة دميمة كانت تجاورها قائلة فى استنكار : ولازم شقة يعنى .. طيب دا أنا أتجوزه ولا فى كشك .. ولا يهمنى ..

ونظرت إليها ماجده نظرة تحدى واستنكار وجلست ..

***

والآن (منى حسين) ..

وقفت منى حسين فى ثورة عارمة .. وبصوت مرتفع .. ومنطق مستقيم منسق قالت : ليست المشكلة .. أن لا يكون هناك واحدة يعاكسها أحد .. أو واحدة لا يخطبها أحد .. أو واحدة يطلب منها الولد أن تذهب معه إلى شقته .. أو واحدة لا تجد زوجا .. المشكلة أكبر من ذلك ..

هذه المشكلات فى جملتها مشكلات محلية .. يعنى غير مؤثرة .. فلا تهم أحد فى الخارج ..

هذه المشاكل مشاكل خاصة .. مشاكل هنا داخل الجمعية فقط ..

يجب أن تخرج هذه المشاكل إلى الخارج .. تصدر إلى المجتمع .. تقلق المجتمع فى كيانه.. تزلزل تقاليده ، تهدده .. وتشعره بالخطر على أمنه وسلامته .. يجب ..

وقاطعتها رئيسة الجمعية قائلة : هذا ما خططنا له فى هذا الاجتماع .. كما تعرفين لقد

دعونا رجال الصحافة والتليفزيون والإذاعيين لكى يعملوا الدعاية الإعلامية المطلوب حتى يشعر المجتمع والمسئولون بالخطر الذى يهدد شبابنا ..

وواصلت منى حسين وفى صوتها ثورة الغاضب .. قائلة: من الممكن أن يكتب .. وينشر كل هؤلاء .. وهؤلاء عنا .. ولكن - الغرض من الجمعية لن يتحقق بمجرد الكلام فقط .. كل الناس تتكلم ... ولكن - الذى يتم .. وينفذ أقل من القليل .. المطلوب الآن أن نفعل ما هو أكثر من الكلام ..

كانت منى حسين تتكلم فى البداية وحولها أصوات استنكار .. ونظرات استفسار .. وعلامات تعجب .. وإشارات إعجاب ...

وما لبث الجميع أن انتبهوا مرهفين السمع .. ، فقد خلبت الأفئدة .. وسيطرت على العقول .. رغم أنها كانت حديثة العهد بالجمعية ..

وظلت منى حسين على حالتها الثائرة .. الهادرة .. الغاضبة .. تقول : يجب أن تكون لنا وزيرة .. نعم وزيرة تعبر عن آمالنا وأهدافنا .. !

ضحك ساخر من الآخرين .. وهمهمات مبهمة .. ولكنها - لم تستطع أن توقفها .. بل ظلت تؤكد ما تقول : نعم يجب أن يكون لنا وزيرة .. تعبر عنا وعن آمالنا .. وأهدافنا .. وتحل مشاكلنا ..

نحن قطاع عريض فى المجتمع ... ومشاكلنا هى مشاكل المجتمع .. فنحن هدفنا هو الزواج من أجل تكوين الأسرة .. اللبنة الأولى فى المجتمع .. يجب أن تكون لنا وزيرة عند تشكيل الوزارة الجديدة ..

يعنى لابد أن نعمل على إفشال الوزارة الحالية واسقطها بسرعة .. !

تصفيق حاد .. وأعجاب .. أدى بمنى حسين أن تبتسم ابتسامة عريضة .. ، وكأنها أضاءت الأمل فى نفوس العضوات حتى علا الهتاف لها .. تحيا الوزيرة / منى حسين .. تحيا وزيرة الحب والزواج .. تعيش .. تعيش .. تعيش ...

***

خرجت من الجمعية وأنا فى غاية السعادة .. فقد كانت هذه المرة الأولى التى أحضر فيها اجتماع بهذه الفكاهة وبهذه الغرابة .. !

وعندما خرجت على الناس بالتحقيق الذى كتبته فى صحيفتى .. كانت مفاجأة .. لم يصدقنى أحد ، حتى أن زوجتى قالت لى : لقد بدأت أشك فى تحقيقاتك الصحفية .. !

وكانت المفاجاة الكبرى .. لاقت الدعوة التى أعلنتها منى حسين استجابة سريعة ..

ولاقت اهتماما كبيرا من المسئولين ..

واهتمت كل وسائل الأعلام بالآنسة منى حسين غاية الاهتمام .. ، وعقدت لها ندوات داخل دور الصحافة .. ، ودعيت إلى احتفالات الشباب فى كل مكان حتى فى الجامعات .. والندوات العامة .. والمؤتمرات .. دعيت فى برامج عديدة للتلفزيون والإذاعة .. حتى بعض مخرجى السنيما عرض عليها أن تقوم ببطولة فيلم عن الدور الحضارى للمرأة ..

ورفضت الممثلة البارعة .. بحجة أنها بذلت نفسها فداء للجمعية .. وأنها لن تهدأ حتى تجد لمشكلة المرأة والشباب حلولا سريعة وعاجلة..

ودعت الشباب إلى التضامن مع الجمعية حتى تحقق الهدف الذى قامت من أجله .. واستطاعت منى حسين أن تلم الأنصار والمؤيدين للجمعية ولفكرتها فى الوزارة ..

وبدأت كل المصادر تتكهن بأن منى حسين سوف تكون الوزيرة المنتظرة .. بل أن صحيفة (القيلولة) نشرت كما نشرت صحيفة (العصارى) خبرا فى أول الصفحة .. أن رئيس الوزارة اتصل بمنى حسين باعتبارها الوزيرة المنتظرة ..

وبالفعل تم اختيار منى حسين وزيرة للحب والزواج ..

***

وكانت الآنسة منى حسين تحضر اجتماعات الجمعية باستمرار.. ، وتعد بحل المشاكل .. وتحقيق البرنامج النى قامت من أجلها الجمعية .. إلا أنها بمرور الوقت .. بدأت تتغيب عن حضور الاجتماعات ..

فى البداية كانت تعتذر كتابة.. ، ثم بالتليفون .. إلى أن انقطعت نهائيا عن الجمعية .. تماما ..

وقد نشرت تحقيقا على لسان فتيات الجمعية قلن فيه : أن الآنسة الوزيرة (منى حسين) .. لم تعد تحترم الجمعية.. ، وهذا شئ فظيع ..

ولقد نشرت الصحف فى اليوم التالى أن الوزيرة / منى حسين سوف يعقد قرانها على الدكتور / بهاء رمزى أستاذ فلسفة الجمال بجامعة الإسكندرية ..

ونشرت الصحف مع الخبر تصريحا للوزيرة ينطوى على رغبة أكيدة بتغيير اسم الوزارة ليكون اسمها (وزارة البيت السعيد) ..

وكان لهذه الأخبار المتوالية عن الوزيرة والوزارة وقع الصاعقة على الجمعية وأهدافها.. تزلزل الأمل فى نفوس عضوات الجمعية.. وقعد بهن إلى اليأس القاتل .. وبدأت صيحات الاحتجاج تجتاح الصحف والإذاعة..

وقامت ماجده عبد المقصود بحملة واسعة النطاق ضد الوزيرة .. والوزارة .. ومن تصريحاتها لى فى تحقيق نشرته صباح يوم الجمعة الماضى .. أن تصريحات السيدة الوزيرة ... (طبعا سيدة مش آنسة) تتنافى مع أهداف الجمعية .. وتهدم صرحها رأسا على عقب.. وأن السيدة الوزيرة .. كانت تعمل منذ اللحظة الأولى من أجل تحقيق هدف شخصى .. وأن السيدة الوزيرة ما كانت تحصل على ما حصلت عليه .. لو ظلت عضوه ثانوية من أعضاء الجمعية ..

وعقبت ماجده عبد المقصود قائلة فى يأس قاتل أن الجمعية سوف تعمل بلا كلل .. أو ملل على الاستمرار فى طريقها حتى لا يكون هناك عضوه بلا زواج ..

***

وقد لاحظت من تصريحات الآنسة / ماجدة عبد المقصود .. بل ظننت .. وإن بعض الظن إثم .. أنها تحاول أن تترسم خطى سلفتها .. لعلها تبلغ مبلغها..

ولقد سألتها بالفعل محاولا جس نبضها : ماذا يمكن أن تقدميه بصفتك عضوه بالجمعية إذا عينت فى الوزارة الجديدة .. ؟

وأشرق وجهها أملا وقالت فى خبث : هذا أمر سابق لآوانة ..

***

إجتمعت الجمعية .. وبناء على طلب من عشرين عضوة تتزعمهم ماجدة عبد المقصود فى اجتماع طارئ .. هدفه إسقاط عضوية السيدة / منى حسين .. ويكفيهم شفيعا لطلبهم القانونى أن منى حسين أصبحت (السيدة) منى حسين ..

ووافق الأعضاء جميعا ..

وتم فصل وزيرة (الحب والزواج) من الجمعية .. بعدما تخلت عن مبادئ الجمعية وخانت اهدافها .. فتحولت إلى (وزيرة البيت السعيد) ..

كانت تلك خطوة ضرورية - كما قالت ماجدة عبد المقصود بعد تزعمها للجمعية بدلا من منى حسين

.. تمهيدا لحملة مخططة تطيح بمنى حسين .. وتسقطها من الوزارة ،،،،

***

درس الخرس

جلس فى مقدمة السيارة ..

إنـه يحـب أن يجلـس منفـرداً .. خاصـة إذا كانـت السـيارة سـتنتظر طويـلا .. فى الواقـع لم يكـن أحـد غـيره فى السـيارة .. أغلـق نافـذة السـيارة .. الجـو بـارد فى الخـارج .. أنـه يرتـدى ملابسـه الصيفيـة .. أجمـل شـئ أن يجلـس وحيـداً .. وأجمـل مـن ذلـك أنـه لا يسـمع تلـك الأصـوات المزعجـة خـارج السـيارة .. وامتـد بـصره .. ثـم عـاد واسـتقر داخـل دكان خـضراوات .. لمـح رجلـين يدخـلان الـدكان .. يشـاور أحدهـما بيديـه ، ويبتسـم البائـع ... ويقـدم لـه مـا يطلـب فى سـعادة تامـة ..

وفى التـو أدرك أن الزبـون أخـرس .. وكذلـك الرجـل الآخـر مثلـه.. نفـس الـشيء .. يتحـرك يمينـا وشـمالاً ، والبائـع يبتسـم .. ويفهـم مـا يقـول ، ويقـدم لـه مـا يطلـب .. ويحاسـبه ويخـرج الزبـون منشرحـاً .. ويواصـل البائـع نشـاطه..

***

الطريـف – أن الجالـس فى السـيارة أعجبـه المنظـر جـداً .. والأجمـل مـن ذلـك أن البائـع يتعامـل مـع الأخـرس كأنـه مثلـه..

وفجـأة حـدث مـا لم يكـن فى الحسـبان .. حـدث مـا ارتـج لـه الكـرسى تحـت الجالـس .. كأن زلـزالا تحـرك تحـت السـيارة ..

دخلـت فتـاة صغـيرة .. أشـارت إلى البائـع .. وكأنـه لم يفهـم .. كـشر عـن جبينـه ، وطـوح يـده فى الهـواء مهـددا .. انزعجـت الفتـاة .. وتدخـل رجـل قريـب منهـا بإشـارات مـن يديـه ، وحـركات فى وجهـه ، .. ولكـن - البائـع لم يفهـم ..

وتعجـب الرجـل الجالـس فى السـيارة وتسـاءل : هـل أصـاب البائـع الإرهـاق ، .. هـل فقـد القـدرة عـلى فهـم الخـرس .. ؟ !

ولم تمهلـه اللحظـات التاليـة السريعـة .. توقفـت خواطـره فجـأة .. لقـد رأى تلاحـم البائـع مـع الرجـل الـذى يدافـع عـن الفتـاة .. لم تمهلـه اللحظـات .. كـما لم تمهلـه عواطفـه .. وانطلقـت مـن أعماقـه خيـالات وذكريـات ... كانـت بعيـدة فى عمـر الزمـن ..

***

تذكـر فجـأة تلـك الأيـام التـى قضاهـا بالقاهـرة .. تلـك الليلـة الجميلـة التـى ذهـب فيهـا

لزيـارة صديقـة الفاتـح .. عطيـه .. تذكـر وهـما يجلسـان فى الشرفـة يشربـان الشـاى .. وتذكـر ذلـك الوجـه الجميـل الهـادئ الـبرئ ، وتذكـر سـؤاله لصديقـه .. مـن هـى ؟

وعلم أنها خرساء ..لا تنطق .. وأشفق عليها وانسالت عواطفه ومالت مندفعة نحوها ..

لقـد بهـره منهـا هـذا الجـمال الفطـري البسـيط .. وهـذا الهـدوء .. فليـس مـن المعتـاد أن يكـون مـن هـم أمثالهـا مـن الخـرس بهـذا الهـدوء .. !

وما هذه الرقة التى تفيض على من حولها .. !

كيف لا تنطق .. ؟!

سبحان الله .

ومنـذ هـذه اللحظـة .. زادت شـفقته .. وشـدت بحبـل رفيـق متـين عاطفتـه نحـو الخـرس .. ولعـل ذلـك خاصـة لهـا .. لقـد علـق قلبـه بهـا .. !

والمثل يقول : والعين تعشق قبل القلب أحيانا .

أقـول .. لقـد أحـب الرجـل الجالـس فى السـيارة الخـرس كـما يحـب الوحـدة .. ويحـب الهـدوء .. والصمـت ...

***

واستيقظ من ذكرياته ، على صرخة اخترقت زجاج النافذة ..

وانتبـه ... فـإذا المعركـة قـد اشـتدت فى دكان الخـضراواتى .. واندفـع بعاطفـة حـب الخـرس ، .. وامسـك بالبائـع وانهـال عليـه ضربـا .. وركلا ، .. وتكاثـر عليـه النـاس .. يمنعونـه .. بـكل الكلـمات .. والألفـاظ – يمنعونـه ..

.. هل جننت يا رجل .. ؟

واخترقـت أذنيـه الكلـمات .. كلـمات كأنهـا طلقـات مدفـع .. أو أشـد ، .. كأنهـا خناجـر اخترقـت أذنيـه .. أصابـت منـه القلـب .. والوجـدان ... يـا راجـل حـرام عليـك .. هـو فى حـد يـضرب الأخـرس ..!

وانهار ..

وسقط مغشيا عليه .. بلا حراك .. وبعد أن أفاق .. أركبوه السيارة ..

***

وانطلقت به السيارة بعيدا .. بعيدا .. وغاص فى بحار اللوم .. يوبخ نفسه ..

كيف لم تدرك ذلك من أول وهلة .. ؟!

ما كان ينبغى أن يغيب عنك ذلك .. !

كان عليك أن تعرف .. منذ الوهلة الأولى ..أن البائع هو الأخرس .. !

لماذا افترضت أن الناس جميعا خرس إلا البائع .. ؟!

أليس من الأولى أن يكون البائع هو الأخرس ..؟

***

وفى الطريق ..

كلما رأى أحدا يشير إلى السيارة تساءل : هل هذا أيضا أخرس .. ؟ !

أم أنك أصبحت لا تدرى ؟ .. ولا تستطيع التمييز بين الخرس .. وغيرهم .. ؟؟

أليس الأفضل لك فى هذه الحالة أن تجلس بعيدا .. بعيدا جداً .. وفى صمت .. اسكت لا تتكلم وكانك اخرس .. ؟!

***

سقـوط العمـارة

عنـد اشـتداد الكـوارث والأزمـات هنـاك طـرف مسـتفيد وطـرف خـاسر، وينقلـب كل شـئ إلى فسـاد وتصبـح مهمـة الربـان شـاقة ؛ فتـزداد الفجـوة بيئـة وبـين الـركاب ،،،

***

توجـه السـكرتير الخـاص بالأسـتاذ راسـم ناحيتـه.. تكلـم وكأنـه يعلـم مـن الأمـور مـا خفـي منهـا ومـا بطـن وفى نفسـه مشـاعر سـخرية ... واسـتصغار لمـن حولـه مـن موظفـى الشركـة .. ونظرتـه الجانبيـة الخبيثـة تخفـى مشـاعره ..

قـال محـولا سـير الحديـث : إنمـا الحكومـة مـش عارفـه توصـل لأى أثـر .. الجرائـد كاتبـة أى كلام .. العـروس التـى بلعتهـا الأرض .. وتحـت العنـوان أى كلام .. دا كلام فـارغ ..

***

وتمامـا مثـل بالونـة ملئـت بالهـواء حتـى توتـرت ، انفجـر الحـاضرون .. هكـذا جرهـم مصطفى مـرزوق إلى ثرثـرة عشـوائية مخلوطـة .. : بقـى مفيـش واحـد يطـوع وينـزل يشـوف أيـه الموضـوع .. الكلـب البوليـسي معملـش حاجـة .. دى آبـار مـن أيـام الأجنبـي المحتـل .. المنطقـة كلهـا معرضـة للانهيـار .. المـرأة كانـت عروسـه بنـت ٢٤سـنة .. جوزهـا اتخـرس ..

***

انسـاق الجميـع فى سـيال متدفـق بعـد أن وجـدوا متنفسـا لمشـكلهم الـذى تحجـر عـن الحـل .. ارتفـع الصخـب .. تدخـل الأسـتاذ راسـم لينهـى ذلـك قائـلا : المفـروض أن تشـكل لجنـة فنيـة عـلى مسـتوى عـال مـن الكفـاءة فى جميـع التخصصـات .. الموضـوع فى نظـرى تعـدى مسـألة بلـع المـرأة .. الموضـوع أخطـر مـن ذلـك، خصوصـا لـو تعلـق الأمـر بمصائـر النـاس .. تصـوروا .. تصـوروا، واحـد أفنـدى مركـزة كبـير يقـول

« المـرأة مخاويـة الشـياطين» .. بالذمـة دا كلام ؟! ... وعايزيـن تسـتنوا فى الشركـة ومشـاكلكم تتحـل .. يـا نـاس فوقـوا بقـى ..

***

دخـل صـبرى حامـلا صينيـة الشـاى .. قـال بسرعـة : رئيـس مجلـس الإدارة وصـل يـا راسـم بيـه ..

فوجئ الجميع ..

ظهر الامتعاض على وجه مصطفى مرزوق ..

علت وجه الأستاذ راسم ابتسامة شامتة وهو يقول فى برود : فين ..؟

أشار صبرى وعينيه تتابع أصبعة : تحت فى العربية ...

***

اهتزت الشركة عن بكرة أبيها .. دخل الرئيس مباشرة إلى صالة الاجتماعات .. لم يلتفت إلى شئ إطلاقا .. ، برفقته كان المدير العام ، وكبير مهندسى الشركة المهندس مفتى ، وبعض رجال الإدارة والعلاقات العامة ..

***

أقفل الباب .. ساد الصمت .. لم يعد مسموحا لأحد أن يقترب .. فقط طبيعة عمل صبرى تتيح له ذلك .. وقد عرف الأستاذ راسم أن يستغل ذلك جيدا فى جميع المواقف ..

***

هتف الأستاذ راسم مناديا صبرى : تعال هنا بسرعة ..

- حاضر يا سعادة البيه ..

أصاخ صبرى السمع وهو يبتسم فى خبث وفى صفاقة ، وهو يتلقى أوامر الأستاذ راسم - لأزم تفهم أية اللى بيدور جوه .. كل صغيرة وكبيرة ..

ردد صبرى فى بلاهة وكأنة اسطوانة مشروخة : وراك رجاله .. يا سعادة البيه ..

انطلق صبرى .. نظر الأستاذ راسم إلى سكرتيره قائلا : مبسوط يا مصطفى – لسنا فى الاعتبار .. فاكرين أنهم بس اللى تهمهم الشركة .. والله ما خربها غيرهم ..

تكلم مصطفى مرزوق ونظرة خبيثة تطل من أسفل عينية قائلا : خليهم – حتى يتضح لهم الأمر .. ويعرفوا أن الله حق ..

- تصور يا مصطفى .. تصور حجم المصيبة التى أصابت الشركة .. آه لو علمت الشركات وشاع الخبر بين الناس .. آه لو عرف الناس أن العمارة انهارت .. كارثة يا مصطفى – ومحدش دارى .. اجتماعات وورق .. وبس ..

- ابتسم مصطفى مرزوق فى سخرية وكأنة يشهد نفسه على غباء الأستاذ راسم : خلاص يا سعادة المدير – الخبر ملأ الدنيا .. كل الناس عرفوا أن العمارة .. وقعت ..

- هذه كارثة .. الوضع مش فى صالحنا .. يا مصطفى –

- اللى يجرى على غيرنا يجرى علينا .. ولا يهمك

- بالذمة دا كلام يقوله واحد عاقل ..

- وهو فين العقل دا يا سعادة البيه (قالها فى مرارة) ...

***

اهتزت أروقة الشركة وممراتها مرة أخرى .. خرج الرئيس من صالة الاجتماعات .. أخذ يتفقد حجرات الشركة .... ألقى تعليمات كثيرة .. يلمح إلى أن هناك تغيير ما .. قد يستغنى عن بعض المسئولين فى الشركة .. أشار إلى لجنة فنية وتقارير وأوراق .. كان يتهم الجميع بالإهمال .. انتهى إلى باب الشركة .. لم يسلم على الحاضرين .. ركب سيارته .. ومضى لا يلوى على شئ .. وكأن شيئاً لم يحدث .. !!

***

هنا وفى مكتب الأستاذ راسم .. انعقد اجتماع غير رسمى ... ، حضرة المهندس رؤوف .. والسكرتير .. وبالطبع .. وبطريق غير مباشر حضره صبرى بطبيعة عمله ..

تكلم الأستاذ راسم فى استظراف :- هيا يا صبرى .. احكى لنا ما حصل بالصوت والصورة...

تململ صبرى فى جلسته .. شعر بأهميته وسط الكبار .. وقعت عينية على الأستاذ بدر موظف شئون العاملين بأذنيه الكبيرتين .. حتى سعيد افندى ماسح الجوخ جاء ليسمع .. الحزب كله ..

اعتدل فى جلسته ثبت عينية فى عين رأسه .. راح يحكى كل ما حصل عليه من معلومات .. وكل ما سمع من نقاش ..

***

اعتدل رئيس مجلس الإدارة .. فتح الأوراق أمامه .. أمسك بالقلم .. تكلم فى نبرات حادة بطيئة : - الواقع موضوع النهارده ليس غريبا على أحد حتى أن المؤسسة للأسف علمت به قبلى أنا شخصيا .. الموضوع بالطبع هو موضوع سقوط العمارة .. كارثة هزت ثقتنا فى أنفسنا .. ويعلم حضراتكم أن أغلى شئ على الإنسان أن يثق فى نفسه وفى الآخرين .. المهم أن مسألة السقوط وضعت علامات استفهام كثيرة عن الأسباب التى أدت إلى هذا .. وأهمها جميعاً كيفية الخلاص من هذه المصيبة والكوارث الفادحة التى لحقت بالشركة .. ما هو الحل .. ؟ ..

سأترك الكلمة الآن لأحد عمال البناء ليقدم لكم أمثلة بما كان يجرى فى عملية العمارة ..

- أتفضل يا سيد قاسم ..

***

نظـر صـبرى إلى عيـون المسـتمعين وهـم يتابعونـه فى حركاتـه وسـكناته وقـال: - خرجـت لبعـض الطلبـات ثـم رجعـت بعـد دقائـق .. كان قاسـم مـازال يتكلـم بصـوت مرتعـش .. يسـتعطف .. ويدافـع عـن نفسـه : - أنـا مليـش ذنـب .. الطـوب هـو الـلى مكنـش مبلـول ..

نظر الرئيس إلى المقاول ثم قال : - المعلم عمار سيوضح لنا المغزى من بل الطوب ..

ظـن المعلـم عـمار أن نظـرة الرئيـس اتهـام لـه .. تكلـم معنفـا قاسـم : - ومبلتـش الطـوب ليـه .. ؟

اسـتمر قاسـم موجهـا كلامـه للرئيـس : - أنـا قلـت للمقـاول .. كلهـا كانـت حنفيـه واحـدة .. ودايمـا مشـغوله مـع بتـوع الخرسـانة ..

انفجـر الرئيـس معقبـاً : - لعنـة اللـه عـلى بتـوع الخرسـانة .. ؟! .. ثـم ركـز نظراتـه عـلى المهنـدس مفتـى ثـم المديـر العـام قائـلا : - وإيـة رأى المديـر العـام فى بتـوع الخرسـانة .. ؟

تنحنـح المديـر العـام .. اهتـز كرشـة الكبـير .. فتـل شـعر قفـاه .. ثـم قـال : - لقـد أعطينـا المهنـدس مفتـى كل الصلاحيـات .. لم نقـصر معـه فى شـئ – أعطينـاه الرسـم .. والتصميـم .. وضعنـا كل إمكانيـات الشركـة تحـت تصرفـه .. ويبـدو وبالقطـع أنـه لم ينفـذ شـئ مـما إتفقنـا عليـه..

قال الرئيس كاظما غيظه : وأين كنت فى تلك الفترة يا سيادة المدير العام .. ؟؟!

امتعـض المديـر العـام قائـلا : كنـت أراجـع أعـمال الشركـة عـن السـنة الماضيـة كـما تعلـم سـيادتكم ..

شـق الرئيـس بصوتـه الحـاد كل الأسـماع ... قبـل ان يقـول بصـوت مرتجـف : - لقـد وضعتمونا فى موقـف حـرج مـع المؤسسـة .. ألا خوفـا مـن اللـه يـا نـاس ..

***

عندمـا عـدت إلى قاعـة الاجتماعـات كان قاسـم ينظـر إلى المقـاول وكأنـة يقـول لـه - لقـد نجونـا .. .. وكانـت نظـرة المقـاول لـه كلهـا لـوم .. وتهديـد ..

وأنـبرى المهنـدس مفتـى يدافـع عـن نفسـه وهـو يهتـز .. .. يشـير ملوحـا فى وجـه المديـر العـام قائـلا فى غضـب: - أن الرسـم والتصميـم لم يكـن بالدقـة الفنيـة المطلوبـة .. لقـد طرحـت نقاشـا حـول ذلـك أمـام سـيادة المديـر العـام ولكنـه لم بهتـم ..

ابتسـم المديـر العـام فى سـخرية قائـلا: - هـل قدمـت مذكـرة بذلـك يـا باشـمهندس .. .. لقـد

وضعتنا فى مأزق ..

ثارت ثائرة المهندس مفتى وقال بصوت مبحوح : - أنه يتهمنى بدون مبرر..

واستمر المدير العام قائلا : كفى جدلا .. نحن هنا لنبحث عن كيفية الخلاص مما نحن فيه .. ما هو الحل .. ؟

- هذا لا يكون بتوجيه الاتهامات ، يا سيادة المدير العام ..

وسكت المهندس مفتى ، ثم استدرك قائلا : - أنه الرسم والتصميم ..

***

نظر قاسم إلى المقاول باستغراب شديد .. ، وبادله المقاول نفس النظرة .. وقد توحدا فى حالة واحدة من عدم الفهم والضيق ..

***

انتفض الرئيس واقفا فى عصبية قائلا: - ليتفضل حضراتكم .. وليبق معى المهندس مفتى .. سوف أدعوكم بعد ذلك .. عندما يتضح لنا حقيقة الأمر .. فلا بد من لجنة تحقيق وتقصى حقائق ما قد حدث ..

***

خرج الجميع ..

ووضع الرئيس سيجارة بين شفتيه .. ألتفت إليَّ قائلا: هات لنا قهوة مزبوط يا صبرى ..

خرجت سريعا وعدت بالقهوة .. تشاغلت بترتيب الأشياء ... وكان الرئيس يقول : - يجب أن تعرف أن المؤسسة رفضت اللجنة الفنية التى شكلتها أنا .. ، وقامت بتشكيل لجنة أخرى .. بكل وضوح .. المسئولية واقعة على الشركة .. ، وهذا ما قد يعرض الشركة للذوبان .. ما العمل الآن .. ؟

تكلم المهندس مفتى فى شئ من التردد والحيرة : - لا أدرى .. فقط أنا أخشى على سمعة الشركة .. وأيضا على سمعتى ..

- أيهما أولا .. ؟

- كلاهما معا .. ثم ..

قاطعه الرئيس بقوله : دعنا من الجدل .. أنت تعرف أن مسألة بل الطوب دى مسألة حشو ليس إلا ... وتعرف أن الخرسانة المسلحة إذا سقطت ، تسقط على هيئة كتل متماسكة..

- أعرف ذلك ..

حـاول المهنـدس مفتـى أن يدافـع عـن نفسـه فخرجـت كلماتـه متحشرجـة : أبـدا ... د .. . الرسـم والتصميـم ..

قاطعـه الرئيـس بقولـة : مـا هـذه التبريـرات الصبيانيـة .. ؟ .. ألا تلاحـظ يـا باشـمهندس .. إن مسـألة الرسـم تشـبه تمامـا مسـألة بـل الطـوب .. حشـو يعنـى .. أنـت طبعـاً مهنـدس ... فلـماذا لم تكتشـف العيـب إذا كان موجـودا .. ولمـاذا لم تتلاشـاه .. ؟ .. .. ثـم لـك أن تعلـم أن كل هـذه الأمـور مطروحـة أمـام اللجنـة الفنيـة ..

- لم تتح لى فرصة الاحتجاج .. كان هناك أمورا كثيرة معقدة مما سبب لنا الارتباك ..

- المسـألة أكـبر مـن ذلـك .. المسـئولية عـلى مـا أرى تحـاصرك تمامـا يـا بشـمهندس .. وتعـرف أن العـمارة سـقطت ترابـا .. ركامـا هشـا تمامـا مثـل عـمارة (الحافـــي) .. وهـذا لا يعنـى إلا معنـى واحـد أنـه لا مسـألة بـل الطـوب.. ولا مسـألة الخرسـانة يمكـن ان تنقـذك .. أنـت لم تنفـذ حسـب المواصفـات الفنيـة .. ، ولم تكـن موجـودا هنـاك طـول الوقـت .. لا داعـى للمغالطـة وتطويـل الجـدل .. المؤسسـة لـن ترحـم أحـد عـلى التقصـير .. المسـألة ليسـت مسـألة سـمعة .. أو كرامـة فقـط .. إنمـا هـى مسـألة حيـاة .. أو مـوت .. .. كـن .. أو لا تكـون ..

- بس .. سمعتى .. - قالها فى رجاء -

- لقد قلت أنها سمعة الشركة .. وهى كذلك ..

- لكن ..

- لقـد عملنـا معـا .. ولكـن الظـروف الآن تختلـف .. يجـب أن أحافـظ عـلى تـوازن الشركـة وإلا ابتلعتنـا الـشركات المحيطـة بنـا .. يجـب أن أرد للشركـة اعتبارهـا ..

- أفهم من ذلك ..

قاطعه الرئيس بقولة : لا تفهم شيئا الآن .. المهم أن نخرج من الكارثة بسلام ..

***

ضحـك صـبرى وهـو يـردد : منظـر مفتـى كان يصعـب عـلى الكافـر .. - ثـم اسـتدرك الباشـمهندس مفتـى – منظـره كان يصعـب ..

تسـاءل مصطفـى مـرزوق قائـلا: الرئيـس راح يعمـل إيـة دلوقـت .. دا موقفـة أمـام المؤسسـة أصبـح غايـة فى السـوء ..

عقـب المهنـدس رؤوف قائـلا فى تخـاذل : يـا جماعـة الشركـة مـش ممكـن تقـدر تعيـش بعـد

كـده .. الـشركات الـلي حوالينـا حتسـتغل الحكايـة وحتوقـف حالنـا ..

ردد سعيد أفندى ماسح الجوخ : أزاى بقى .. يوم لك .. ويوم عليك ..

قاطعة المهندس رؤوف بقولة : على أى حال كل دا راجع لموقف المؤسسة مننا ..

***

وبصـوت ممطـوط جـدا .. بطـئ جـدا .. تكلـم الأسـتاذ راسـم بعـد طـول صمـت : أن لم يكـن للرئيـس ظهـر فى المؤسسـة لـن يسـتطيع شـيئا .. يجـب أن يسـعى لتنسـيق داخـل المؤسسـة بـين الـشركات .. حتـى نسـتطيع رد اعتبارنـا ..

وبنظرة متماكرةتساءل مصطفى مرزوق : -وكيف نرد اعتبارنا ؟

- بعملية كبيرةتحفظ ماء الوجه أمام الناس ..

- وتبتدى امتى العملية دى ..

عقب الأستاذ راسم بنفس الصوت الهادئ الممطوط : - بل قل .. كيف تنتهى .. ؟

ردد مصطفى مرزوق بلا همه : - تفتكر أن الموضوع حينتهى كده ... ؟؟؟

- إننـا لا نعـرف إلا القشـور .. أم تريـدنى أوجـه أحكامـا مطلقـة مثـل أخينـا – الـلى بيقـول بـأن المـرأة مخاويـة الشـياطين ... ثـم اسـتدرك : - ألم تلحظـوا أن المهنـدس مفتـى لم يخـرج حتـى الآن .. أرى أن هنـاك أمـرا خاصـا بـه .. هـو فى حكـم المنتهـى مـن الشركـة .. ، بـل مـن المؤسسـة كلهـا ..

***

أشار صبرى إلى فمه .. وكأنه يسكت نفسه بقوله : - جبنا سيرة القط ..

نـزل المهنـدس مفتـى درجـات السـلم متثاقـلا فى إعيـاء شـديد .. يـتردد فى سـمعه أصـوات مخلوطـة .. مشـوهة .. تـترائى أمـام ناظريـه صـور مقلوبـة .. متباينـة .. تتمايـل عـلى كفـه لراقصـة كوكـو .. كـؤوس الشـمبانيا تمـلأ جوفـه .. .. أنـت تؤمـر يـا روحـى .. دفـتر الشـيكات تحـت أمـرك .. عربـة حديـد التسـليح تمـرق فـوق أعصابـه .. الرئيـس يـصرخ فى وجهـه .. الراقصـة كوكـو تقبلـه .. أنفاسـه تختنـق .. الكتـل الخرسـانية تنهـار .. تنسـاقط فـوق رأسـه .. ترابـا .. وركامـا هشـا ينهـال فوقـه ..

وتدحرج المهندس مفتى من سلم الشركة إلى الشارع .. فاقد النطق ..

***

ووقف الأستاذ راسم مقطباً حاجبيه ، ماطاً شفتيه دون أن ينطق ببنت شفة ..

وتكلـم مصطفـى مـرزوق وهـو منكـس الـرأس ، وعينيـه عالقـة بالجثـة المـددة عـلى الرصيـف
: ثـم مـاذا .. ؟!!

***

لن تضيع أبداً **

لم تكن سعادته أعظم من سعادتها ..

وشتان بين السعادتين ..

إنها سعيدة لأنها ظنت أنها وجدت فيه الحصن الأمين والملاذ المكين .. وجدت فيه خلاصها من براثن الضياع .. لشد ما أحزنها .. وهز نفسها .. وعذبها ، .. تلك الحياة التى تعيشها ..

كم تمنت أن يكون لها زوج وبيت .. زوج تطيعه.. وبيت تعتنى به .. !

***

عاشت بين جنبات الخطيئة المتجسدة فى حياة شقيقتيها ، كانت تجد ممانعة قوية من داخلها فترفض كل ما يقدمانه لها من مغريات .. أن تستجيب لما يستجيبان غليه ويمارسه بسعادة من فحش .. وبغاء .. .. كان يلفهما بريق خادع ..

وأفاقت على صوت من أعماقها يناديها بأن الضياع مصيرك .. تيقظى .. ليست هذه حياتك .. شقيقتاك أسكرتهما مظاهر فانية .. ، خادعه .. ، تتماديان فى إطفاء صفة الحضارة على صورة الانحلال الذى أغرقهما فى بحوره ..

كانت تبكى .. وتقول لنفسها .. كفاك شرا سنوات طوال انقضت معهما .. تتوقتين مما يجسبانه حراما .. .. كفاك عارا ما تسمعينه .. وما لم تسمعينه من ألسنة الصغير والكبير .. ألا سحقا لهما ..

كم تعذبت .. وكم بحثت عن المخرج والخلاص .. ؟ .. وفتشت فى أعماقها عن مخرج .. وفى فكرها عن ملاذ .. بحثت طول نهارها الأسود وليلها المقلق .. دائما تتحاشى عيون الغير، وأصابعهم المصوبة إليها أينما وجدت وأينما تسير ..

وسجنت نفسها بين جدران تفوح منها رائحة الخطيئة .. وتنفتح على العالم بنوافذ الضياع .. وتطل على أهل الحي ليشهدوا بديلا للعفة والشرف فى عيشهن فى كنف أب طاهر شريف .. ،

ما هذا ضياع .. ؟

** جاءت هذه القصة ردا على قصة كتبها صاحبنا / أحمد عبد الخالق وكانت بعنوان (دانت الحصون) فقد طالبنى بقراءتها وإبداء الرأي فيها ؛ فلم أجد أفضل من تلك هذه القصة (لن تضيع أبداً) ردا عليه !

ما أشقاك .. ما أشقاهما .. ما أشقى أختاك !! .. لقد جرا على نفسيهما العار .. وأصاباك منه .. أليس لك فى الأمر حيلة ..

كم تخش الضياع ؟ ..

وكم تتحفذ ضده ؟ ..

***

وتذكرت صوتها الضائع .. وصريخها وهى ترجو أختيها من أجل حياة أنقى وأعف .. تذكرت قولهما : (أنك ترفلين فى خيرنا .. وعزنا ..) ..

أى عز ذلك الذى يتشدقان به.. ؟!

إنها تعلم أنها فى رفاهية زائفة .. تفوح برائحة الرجس .. ونتن الشيطان ..

وبكت ..

وكم بكت .. ؟ .. ولم يشفع لها بكاء ..

لم يحركهما بكاؤوها ساكنا .. ولا رفت من أجلها نظرة عطف .. أو رأفة .. أو حنان .. !

وهل انتظرت مكنهما شئ كهذا .. إنها إذن لمغرورة .. فمن أين لهما ذاك ؟ ....

لا شئ إلا خلاعة .. وتمايل متصنع مرذول .. تتضاحكان .. يسرى فى جسديهما تيار من لهيب شيطاني خبيث طاغ .. يجرفهما فى بحر من الفسوق والإنزلاق إلى أعماق الحضيض ..

***

تعلمت بعد ذلك ألا تبكى أبدا إلا وحيدة .. تعلمت أن بكاؤها لن يشفع لشرفها .. ، فلا يحمى الشرف إلا المقاومة .. والتحصن بالعفة والفضيلة .. والعمل الشريف .. ولاقمة العيش الحلال .. تعلمت ذلك جيدا من خلال تجربة مريرة .. وعانقت حزنها فى صدرها .. وتساءلت عن معنى الحياة ..

وبكت وحيدة ..

وقالت فى إصرار: حتى ولو كانت الحياة ليست إلا الخطيئة كما صورتها وسوغتها أختاها لنفسيهما .. ، إلا أنها لن تكون أبدا بمعنى اليأس من العفة والشرف .. لن تكون أبدا بمعنى الضياع .. !

وتسربلت وجنتيها بالدموع .. دموع ساخنة .. وارتجفت خوفا وفزعا .. وارتعشت كل شعرة حس فى بدنها .. تنطفض فرقا ورعبا .. زافكار سوداء تحتوشها .. تفقدها السيطرة على

قواهـا البشريـة .. حتـى عقلهـا الـذى كانـوا يخشـون منطقهـا .. كأنـه غـاب عنهـا .. حتـى قلبهـا لم تجـده .. !

لمن تشكو .. ؟ ...

و لمن تضرع .. ؟ ..

وإلى أين المصير .. ؟

حياة قلقة .. وشقاء مدمر .. وفكرت فى الخلاص ..

***

كانـت تسـير فى أحـد الشـوارع المائجـة بالحركـة والصخـب .. ضوضـاء .. وهـى لا تستسـيغ الضوضـاء .. لا تقبـل الزحـام .. تكـره كل مـا هـو ضـد الهـدوء .. تريـد أن تشـعر بأنهـا تحيـا .. والصخـب يقلـق فيهـا الشـاعرية والتخيـل والتحليـق مـع النجـوم .. تريـد أن ترسـم لنفسـها طريقـا يوصلهـا إلى حيـاة الكرامـة والـشرف ..

تـرد أن تعيـش مثـل هـؤلاء الذيـن يبذلـون العـرق ثمنـا للقمـة الطيبـة .. وينـثرون الخـير والبسـمة رغـم فقرهـم بـين مـن يعرفـون ومـن لا يعرفـون .. كأنهـم إخوانهـم .. تريـد أن تـرى الرحمـة يمـلأ قبلهـا .. و النـور يتخلـل نفسـها .. .. تريـد أن تعيـش عـلى بـلا سـأم ولا ملـل أو كآبـة ..

كـم تمنـت أن يكـون لهـا زوج وبيـت .. زوج تطيعـه وبيـت تعتنـى بـه .. وتعطـى للحيـاة أولادا طيبـين .. تريـد أن تحيـا هـذه الأمنيـة .. هـذه الحيـاة ..

وأين هى من هذه الحياة ؟

وبكت واستدارت على كعبها لتجلس على كرسى حجري بإحدى الحدائق العامة ..

مسحت دموعها بمنديل يدها ..

نظـرت إلى المنديـل شـذرا .. نظـرة ملؤهـا الكراهيـة .. انـه ليـس مـن ممتلكاتهـا .. ليـس مـن كسـب يدهـا .. انـه مـن عصـارة الرذيلـة مـن شرف شـقيقتيها المهـدور ..

وتقلصت يدها وهى مسكه بالمنديل .. ودموعها فى عينيها تجمدت ..

وألقـت المنديـل بعصبيـة بالغـة تحـت أقـدام المارين بالحديقـة .. فقـد كان شـاغلها الكبـير هـو خلاصهـا ..

وقـد أفقدهـا هـذا الشـاغل الإحسـاس بمـن حولهـا .. واسـتدركت ونظـرت إلى نفسـها .. إلى كل مـا يعلـو جسـدها مـن ملابـس وزينـة .. حتـى الحـذاء الـذى يرفعهـا عـن الأرض .. كل هـذا ليـس

منهـا .. هـذه أشـياء التـى تلبسـها نتـاج الرذيلـة ..

وضحكـت بداخلهـا لأفـكار تقلقهـا .. تهـم بهـا .. تريدهـا أن تخلـع كل مـا تلبـس .. وتلقـى بـه ..

هكذا فى مكان عام تخلع زينة الضياع ..

وأمسكت عن الضحك عندما شعرت بيد تمتد إليها بمنديلها الذى قذفته من هنيهه ..

***

ونظـرت إلى الشـاب فى وجـل .. اختطفـت منـه المنديـل وأودعتـه حقيبـة يدهـا بـلا شـعور .. وكأنهـا تخفـى عـار ..

وهمـت بالانـصراف .. فاسـتوقفها بابتسـامة أودع فيهـا كل مـا يملـك مـن سـحر .. وهـدوء وهـو يقـول: مدموازيـل .. أرجـوك .. مـن فضلـك ..

***

ونظـرت إليـه .. وارتاحـت إلى عينيـه .. وانقـادت حيـث يريـد .. سـارت معـه بعيـدا .. داخـل الحديقـة .. جلسـت قبالتـه .. رأت فيـه رجولـة .. جسـده كعمـلاق خـرج لتـوه مـن بـين أسـاطير الأولـين .. فى شـهامة الشـاطر حسـن .. وفى قـوة عنـترة .. وتمنـت أن يكـون هـو عنـترة .. لعلـه ينقذهـا مـما تعيـش فيـه ..

تمنت أن تكون قصتها معه كقصة بدر باسم مع جوهرة بنت الملك السمندل ..

وتمنـت أبعـد مـن ذلـك وأكـثر .. تمنـت لـو كانـت منـه مثـل جولييـت .. ويـا ليتهـا كانـت كليـلى مـن قيـس .. !

وتبسمت .. وعينيها فى عينية لا تسقط عنهما لرجفة جفن ..

وأنى لها هذه الأمنيات ؟

هل يتمخض هذا العصر عن هذه الامنيات .. ؟

لقد ذبل فى هذا العصر كل معنى تطلبه ..

وعبس وجهها ..

***

وسألها : رأيتك تبتسمين .. ثم تتجهمى فجأة .. هل أبيح لنفسى أن أسألك ما بك .. ؟

وكأنها انتظرت منه أن يسألها ما سأل .. وقبل أن تنطق أردف بسرعة وبطريقته المهذبة : من أنت .. ؟

وانساقت طواعية لسؤاله .. وقالت كل شئ حتى لحظتها معه ..

وأبدى لها حزنه .. وأسفر عن شفقته .. وبطريقة ملتوية صارحها بعطفة نحوها .. وأنة ما كان ينتظر منها كل هذه الصراحة منذ تتبعها من أيام طويلة ..

ولم تجب .. فقط شعرت بأنه أوقد فى قلبها جذوة الشباب .. كم تلهفت على معشوق مخلص .. ولعله هوذا .. لعله حصنها وما تمنت .. ووعدته باللقاء ..

***

ولم تكن سعادتها أكبر من سعادته .. وشتان بين السعادتين ..

فهو سعيد لأنة دائما يبرهن لأصدقائه بأنه صياد ماهر .. لا يصبر الصيد طويلا حتى يوقعه فى شباكه كأنه الضوء الذى تحوم حوله الفراشات دائما ..

***

ولم تنم .. وظلت تفكر فى ذلك الشاب الطيب الذى قادته الأقدار فى طريقها ليخلصها من براثن الضياع .. وقلبت فى مجموعة القصص التى تملكها .. ، علها تبحث عن قصة شبيهه بقصتها .. ولم تجد .. وحزنت .. وتندمت ..

ثم فرحت وأ نشرح صدرها لندرة حياتها بين بنات جنسها ..

***

وقابلته.. وارتاحت لوعوده ، وصدق حديثه ، وتأكيده بأنه هو خلاصها .. ولا أحد من بين خلق الله غيره .. وودعته للقاء جديد ..قريب ..

***

كان آخر عهدها به .. ولا تعرف ما الدافع الذى حدى بها إلى الذهاب معه إلى منزله فى ساعة متأخرة من الليل .. والسكون ألبس العمران من حوزلهما لباس ضيق .. ومقلق .. ومهيب ..

هذه أول مره يرعبها الهدوء .. إنها تشعر بخوف مخوف .. فأفزعها الصمت .. وأرهبها لقاؤها معه..

***

وتقدم منها بجرأه مأمولها .. يريد شفتيها .. أبعدته عنها .. ووجدت ما لم تكن تحسبه فى حساب .. وما لم تقدره جيدا .. إنه لا يختلف .. إنه مثل الآخرين .. إنه نتاج عصر الماديات الزائفة .. إنه نبتة نتنه من بذور الشيطان ..

ولم تصدق .. وكم تمنت لحظتها أن يكون ما تراه كابوسا .. !

***

وانهار حلمها الوردى .. انهار تماما حصنها الحصين .. كل شئ ينحدر .. ينزلق .. لا خلاص من الضياع ..

وألهبها صوته المجرم .. تجرعت كأس المرارة والحنظل بما لم تذقه من قبل وهو يسمعها صوته الأجش.. كان يسخر منها قائلا : هل تظنيني مغفلا لأصدق حكايتك الساذجة .. كلكن من طينة واحدة ..

أفقدها فى لحظة واحدة ما بنته من أوهام .. وخيالات ..

وتقدم منها يمد إليها يديه المرتعشه .. يريدها ..

وأبغضت أن ترى عينية وهما تقدحان بشرر الرغبة والغواية ..

وأنفاسه .. كفحيح الأفعى الرقطاء تسابقه إليها ..

أبغضت أن ترى حلمها يهوى تحت قدميها ..

وضربته على رأسه بتمثال لجواد فوقه فارس تترى يقهر فتاة للركوب خلفة ..

وسقط كالمخمور .. و تهشم التمثال ..

وهربت ودموعها وأفكارها تسابقها إلى .. إلى أين ؟

سؤال يطن فى أذنيها .. وهى تعدو كالهاربة من الجحيم ..

وأسرعت فى عدوها فى طريق ظنته خلاصها الأبدى .. لا يوجد بديل ..

***

وفى الطريق أحست بعيون الآخرين وأصابعهم تشير إليها .. ويتردد فى سمعها كلمات شامتة : كلكن من طينة واحدة ..

الضياع .. الضياع .. وبلا روية .. وبلا تفكير .. دافع قوى يجبرها أن تسرع .. أصوات شريرة تلهبها وتتوعدها بالضياع ..

لن تقبل الضياع مهما كان الثمن .. أبدا لن تقبله ..

وترنحت فوق الجسر الممتد بمحاذاة البحر .. وسقطت فوق المنحدر وتدحرجت وأصيبت فى رأسها من حجر صغير ..

وسالت دماؤها الساخنة .. وتبسمت فى حسرة ، عندما أدركت أنها لن تجد مطهرا لجرحها .. !

وما جدوى المطهر وهى مقدمة على نهايتها ؟!

وقامت من سقطتها ولم تحاول أن تمسح الدماء التى انبثقت من الجرح .. وسالت دماؤها لتغسل شعرها الأسود الفاحم .. ووجدت منفذا لها داخل فمها المفتوح من لهث أنفاسها المتلاحقة ... ولعقت بشفتيها قطرات الدم.. لعقت دمها الساخن وهى تعرف أن ذلك محرم .. وما جدوى الحرام والحلال الآن .. سالت حتى أغرقت ثيابها .. ؟!!

***

ووقفت أمام الموج الهادر .. صور الماضى تلاحقها .. وحزنت .. والخوف يجبرها أن تهرب .. وجربت أن تهرب من ماضيها .. وكل حياتها .. جربت أن تلقى بنفسها إلى الماء .. وأدركت أنها قادرة على الهروب من الحياة كلها..

وفجأة .. ألقى البحر بموجة عاتية إلى الضفة حيث الحجر الضخم الذى وقفت عليه .. وتكسرت الموجة عند قدميها .. بللت ملابسها .. بللت وجهها .. تناثرت مياهه فى وجهها .. يحذرها .. يبعدها .. يهددها أن تدنس مياهه .. وصرخت بأعلى صوتها : يا رب

ولم تحتمل الصرخة .. ووجدت نفسها تصارع المياه .. تريد النجاة .. وتشبثت مستغيثة بالحياة بكل قواها .. حاولت أن تخرج إلى الضفة .. وتذكرت مؤخرا .. كم مرة عرض عليها أن تتعلم السباحة ؟ ..

يا ليتها تعلمت ..

حاولت جاهدة وماء البحر يتدفق إلى حلقها ليسده .. يخمد أنفاسها إلى الأبد .. ولم تستطع أن تقاوم .. أو تحتمل .. وأسلمت نفسها للغرق ..

***

وأفاقت .. وفتحت عينيها لترى بصيص الفجر يطارد الظلام .. وأحست بثقل يتحرك فوقها .. وجربت أن تصرخ مستغيثة .. فلم تقدر .. كانت قد لفظت كل قواها وطاقاتها الحيوية فى خضم تلك الأيام الثقيلة التى عاشتها فى بيت الضياع مع أختيها ..

وأدركت أنها لا تستطيع ... ول حتي الصراخ .. فلم تصرخ ..

جربت أن تزيحه عن جسدها بكل قوتها .. وأدركت أنها غير قادرة .. فلم تفعل ..

وكرها .. وضعفا ..أسلمت نفسها إليه..

وعصرها في صدره بكل دوافعه الحيوانية .. فلم يترك لها حيلة .. ولا إرادة ..

***

وقام عنها .. ومضى لا يلوى على شئ ..

***

وعجبت من شأن هذا الذى فعل ما فعل .. كيف أنقذها .. ؟

ولم أنقذها من الغرق .. ؟

ولماذا فعل بها ما لم يستطع أن يفعله الظالمون ؟

***

وأصلحت من ملابسها المبتلة .. ووقفت تحت وهج الشمس .. تستمد طاقة أخرى تحركها نحو الحياة ..

إنها أبدا ليست حياة الخطيئة .. أوالتفريط في العرض والشرف ..

ورنت بنظرتها إلى السماء .. تستمد العون ممن خلق الأرض والسموات العلا .. وكأنها .. نعم .. كأنها رأت بابا من النور .. وصوتا يسمعها يقول : إنه باب التوبة .. مفتوحا ..لا يغلق .. إن الله يغفر الذنوب دميعا إلا الشرك .. ونطقت بشهادة التوحد ... أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

وإذا بها تذكرت .. فقرآت قوله وتعالى : « قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ « (الأعراف : ٣٣)

وقرأت : « وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ « (يوسف : ٥٣)

ومن ثم ، قالت بثقة لا يعرفها إلا المحبون :

نعم .. حقا .. وصدقا .. ويقينا « إن ربى غفور رحيم»

***

ماذا .. ؟ وأين ... ؟ ولماذا .... ؟!

المنظر رمادى غامق ..

والسماء عليها غبش .. والأرض سوداء ..

رجال المباحث يقتربون منى .. يطلبون منى أن أصحبهم إلى مركز البوليس ..

- سألتهم عن السبب .. ؟

- لم يجيبوني .. !

- لن أذهب قبل أن أعرف السبب .. لن أقبل منكم أى تهديد ..

- أنت وثلاثة من الفلاحين متهمون فى خناقة أو سرقة .. وقد تكون جريمة قتل.. المهم لابد أن تأتي معنا ..

- كيف ذلك ..؟ .. أنكم تتكلمون عن شئ غير معلوم .. لماذا تقبضون علىّ ؟ .. بأى ذنب ؟ .. حددوا أسبابكم حتى أحدد موقفى منكم بوضوح .. لا داعى لأن نختلف .. لعلكم لا تعرفون من أنا .. كيف تتجرأون علىّ .. ألا تعرفون أننى من كبار المسئولين بالقرية .. ؟

أم تظنون أن أسبابكم وجيهة بحيث تظنون أنكم أوقعتمونى فى الفخ ، فلا شأن ولا بأس ولا قوة لى بعد ذلك ..

أتظنون أنكم فى حل من تأييدى ومساندتى .. ؟ هل تتخلون عنى بمجرد الشبهة ؟! ..

***

نظرت إلى شيخ البلد ، الشيخ عبد الجواد المغربل ، فقد جاء يستوضح فقط .. كان على هامش المنظر ، وقف بعيدا .. لم يقترب ، ولم يتكلم .. كان واضح المعالم وهو فى زيه التقليدى ، طاقية من الصوف فوق رأسه، وجلباب أيضا من الصوف المقلم .. الغامق جداً .. وصدره العريض يزيد كثيرا عن عرض الجلباب ، حتى يكاد يتمزق .. وكرشه الطويلة كأنها خرج مدلى من عنقه ، ووجهة مقتظ بالسمنة ، يكاد الشحم يتساقط منه ..

قلت وأنا أوجه حديثى إليه ، وأسدد نظرتى الحادة نحوه : - لا داعى لذهابى إلى مركز الشرطة – طالما ما جئتم من أجله يقع فى اختصاص شيخ البلد .. أليست خناقه كما تزعمون ؟ .. أليست الخناقات تقع فى اختصاصك يا شيخ البلد ؟ ..

تكلم الرجل بعد فترة صمت ، وكأن كلماته خرجت من بطن قبر متعفن .. إنه لا يريد

يضع نفسه فى مأزق : - ليس هذا من اختصاصى .. إننى مريض .. دعونى .. إننى مريض ..

قلت فى عصبية : لن أذهب معكم .. قولوا لمأمور المركز أننى لن أحضر .. سوف أشكوكم .. لن اركككم تخرقون القانون .. ليس معكم إذن من النيابة سابق ..

***

ورغم هذا التحدى الصارخ فقد شعرت بالضعف ، وسرت فى جسدى رعدة شديدة .. وإزداد خوفى .. خشيت ألا أستطيع الاستمرار فى المقاومة والتحدى .. !

***

وصلت عربة البوليس وبها الفلاحين الثلاثة المتهمون .. رفاقى كما يزعمون..

- إركب ..

- سوف أركب .. فقط انتظروا حتى أرجع ..

***

كشك سجائر ..

- هات سيجارة ..

أعطانى .. وأعطيته قرش صاغ ومليم كبير من العملة الملكية القديمة ... رفض المليم .. وأصر على الرفض ..

- أليست عملة الدولة .. أنت تخالف القانون .. ولن أرد عليك السيجارة فهى حقى ..

أيدنى كل الحاضرين عندما رأوا فى وجهى التصميم .. حتى رجال الشرطة قالوا فى صوت واحد : إنه على حق ..

لعلهم يقرون سياسة وضع اليد .. يعنى سياسة الأمر الواقع .. ومفهوم ومذهب المنفهة الأمريكى والديمقراطية الزائفة .. لعلهم أيدونى لأنى حصلت على السيجارة ، وأصبحت فى قبضتي ..

وهذا فى حد ذاته تأييد مشرف ، إنها ظاهرة تستحق الاهتمام والدهشة .. !

أشعلت السيجارة .. جذبت نفسا عميقا ..

فجأة انفجرت السيجارة فى وجهى .. كادت تحرق وجهى ..

وإرتج المكان .. ضحك صاخب من كل الحاضرين .. ضحكوا علىّ .. سخروا منى .. كانوا يعرفون .. وكان رفض الرجل صاحب الكشك نوع من ترويج السلعة .. كانوا يعرفون أننى

عـلى شـفا الخطـر .. !

ما هذا ؟

عربة البوليسى تقترب منى .. لم يحذرنى أحد ، .. حتى ولا شيخ البلد ..

- هيا اركب..

- مهلا حتى أعود ..

عرفت أن رجال البوليس مغرمين بأكل (البسكويت) .. !

هكـذا قيـل لى .. مـن عاشروهـم أخـبرونى أنهـم يفضلـون (البسـكويت) الـذى عنـد رمـزى البقـال بالـذات ..

إشتريت لهم صاجا من البسكويت ..

ما الحيلة .. لعلة يكون سببا فى نجاتى من أيدى الظلمة ..

- اركب ..

صعدت إلى العربة .. أفسح لى رجل المباحث مكانا بجانبه .. وهو يشم راحة

(البسكويت) .. ويبتسم .. ولكنى لم أفهم مغزى إبتسامته .. إنه كمن ظفر بفريسته ..

جلسـت فى العربـة أنقـى البسـكويت مـن القطـع المحترقـة .. أمسـكت بقطعـة وكسرتهـا .. إنهـا محشـوة ..

ما هذا ؟

حشيش .. نظرت حولى فى هلع .. وإرتجت أوصالى خوفا ..

حقا ماذا يحدث لو قبض علىّ بتهمة إحراز المخدرات ؟ !

***

نقطة البيروقراطى***

عنـد « علوايـة « الجامـع .. تقابـل جابـر مـع إبراهيـم الزهـيرى فحيـاة بتحيـة الإسـلام ثـم اسـتوقفه .. مسـتفسرا عـن حالـه :- هيـه يـا زهـيرى .. عملـت أيـة فى بطاقـة التمويـن ... ؟!

ونظـر إليـه إبراهيـم الزهـيرى فى حـسرة .. وكانـت يـده مازالـت فى يـده ... نظـر إليـه وكأنـه يعاتبـه عـلى سـؤاله المزعـج وقـال فى لوعـة :- وفكـرك ح أعمـل إيـة .. البيـه أمـين السـجل المـدنى قـالى البطاقـة فيهـا غلـط ... وغـاب مسـتغرقا فى أفـكاره المشوشـة ..

***

وعـاوده الكابـوس ... فعندمـا توجـه منـذ الصبـاح الباكـر إلى المركـز بمدينـة (فـــوه) مشـيا عـلى قدميـه فى قسـوة بـرد شـهر (طوبـة) .. ووسـط أوحـال الطريـق .. يريـد السـجل المـدني .. وكان السـجل المـدني فى تلـك اليـام بداخـل مراكـز الشرطـة ..

- البطاقة غلط .. البطاقة العائلية غلط .. مختلفة عن التموينية .. فى غلط ..

- طيب يا سعادة البيه .. من فضلك صلحه ...

ونظـر إليـه أمـين السـجل المـدنى باسـتخفاف وقـال لـه وهـو ينـأى عنـه متجهـا إلى زميلـه بالحديـث :

- عايزنى أصلح الغلط ... دا يبقى تزوير يا زهيرى ... تزوير فى أوراق رسمية..

وفى رجـاء وبصـوت مبحـوح قـال الزهـيرى :- طيـب بـا بيـة .. قـولى عـلى الغلـط .. وأنـا أصلحـه ..

- تصلحه .. أنت عايز تروح فى داهية ... لازم أنا اللى أصلحه ..

وفى حيرة قال الزهيرى :- طيب ما هو سيادتك من شوبه قلت دا بيقى تزويز ..

- أنت حتفتح معايا محضر ... اطلع بره يا زهيرى

- أهـوه .. يـا سـعادة البيـه .. حتـى حضرتـك عـارف اسـمى .. اهـوه .. نطقتـه صـح .. أهـوه .. وضـاع الرجـاء .. وخـرج الزهـيرى مـن المكتـب ..

واستعجله جابر قائلا وهو فاغرا فاه دهشة :- هبه وبعدين ...

*** كان بـودي أن اسـمى هـذه القصـة « نكتـة البيروقراطـى» مـع أن المعنيـين واحـد .. ولـولا خـوفى أن أتهـم بتزويـر أوراق رسـمية .. فأحجمـت عـن هـذه التسـمية .. وفضلـت أن أضحـك سـاخرا بينـى وبـين نفـسى ،،، (وكفـى اللـه المؤمنـين القتـال)

ويستمر الزهيرى فى يأس :- طلعت بره .. لقيت واحد أفندى وسألته عن الغلط:

- تسمح يا أستاذ ...

- نعم .. أى خدمة ...

- أيـة الغلـط الـلى هنـا .... ونظـر الأفنـدى فى البطاقتـين ... عمـل مقارنـه ... لفـترة طويلـة ... ثـم قـال :- مفيـش غلـط ..... البيانـات كلهـا صحيحـة فى البطاقتـين ...

ووقف الزهيرى محتدا وأن لم يبد ذلك عليه ..

وعـاود الأفنـدى النظـر فى البطاقتـين بأمعـان شـديد ... اسـتغرقه الفحـص .. والزهـيرى يتابعـه فى لهفـة .....

وفجأة قال الأفندى :- النقطـــــــــــــة ...

وذهل الزهيرى .... لم يتكلم ...

واستمر الأفندى

- يـا عـم إبراهيـم ... اسـمك فى البطاقـة العائليـة .. إبراهيـم حسـن الرهـيرى ... وفى التموينيـة .. إبراهيـم حسـن الزهـيرى .....

- مش فاهم ....

واسـتطاع الأفنـدى بعـد جهـد أن يفهمـه أن نقطـة فـوق حـرف ممكـن أن تغـير مفهـوم الكلمـة كلهـا .. وأن كان الأفنـدى يعلـم أن نقطـة فـوق حـرف ممكـن فى السياسـة أن تغـير دول .. إلا أنـه يـدرك أن طاقـة ذلـك العامـل المسـكين لا تتحمـل ..

***

- بقـى يـا سـعادة البيـه نقطـة فـوق حـرف تعطلنـى طـول النهـار ... مأنـت الـلى عامـلى البطاقـة السـنة الـلى فأتـت .....

ودهش أمين السجل من جرأة الرجل ... ولكنه تمالك نفسه فى تصنع وعجرفة .. !

- أنـت لا تعـرف قيمـة النقطـة .... أنهـا تكـون الخـط .. ومـن الخطـوط تتكـون السـطوح .. ومـن السـطوح تتكـون الحجـوم ...

وظل يتكلم بلسان غريب ... والزهيرى حائر لا يستطيع أن يفهم .. أو يتكلم ...

وغـاب أمـين السـجل فى غيبوبـة مـن الضحـك وسـقط القلـم مـن يـده فى حركـة مسرحيـة ... واضطـر زميلـه أن يشـاركه اسـتخفافه ..

وصمت فجأة .. ثم قال فى خشونة ظاهرة :

- يا له خلينى أشوف تغلطى ...

***

- هيه .. عملت أية .. ؟

- مفيش فايده يا فندى

- أنت تعرف النقطة دى ثمنها كام .. ؟

- كام ...؟

- ٢٥صاغ .. هو عايز .. والعسكرى الى على الباب عايز .. وكاتب التموين عايز ... كلهم عايزين يا عم زهيرى .. وإحنا بس ندفع ..

***

واستيقظ الزهيرى على صوت جابر يردد وهو مازال فاغرا فاه دهشة :- وبعدين ...

ونظر إليه الزهيرى فى عتاب ويأس قائلا :- أنت معندكش غير وبعدين ... أن كان معندكش حل تسكت ..

وضحك جابر فى سذاجة متصنعة .. ثم قال :

- اللى الأفندية معر فوش يصلحوا الغلط .. تسألنى أنا ... يا عم .. سلامو عليكم ..

ومضى جابر وترك الزهيرى يحرك رجليه فى تثاقل ناحية منزلة ...

وفجأة تحول جابر ناحية الزهيرى .. ولحق به وقال :- لقيت الحل .. أية رأيك نروح للأستاذ شوكت أمين الاتحاد الاشتراكى .. أمال هو إحنا انتخبناه ليه ... ؟!

وقال الزهيرى فى استلام :- نأخذ معانا الشيخ عبد المقصود ..

ونظر إليه جابر فى شهامة وهو يقول :- ليه هو ... وكيل نيابة .. ولا يعنى .. وكيل نيابة...

***

دخل الأستاذ شوكت عليهما فى حجرة الجلوس فى أبهة .. وعلو قدر ... شاب طويل .. ذو مطهر متعجرف .. يحمل على عينية نظارة سوداء ..... هب الرجلان واقفين .. ولم يجلسا .. ولم يطلب منهم ان يجلسا حتى جلس ..

شعر الرجلان باختناق شديد .. من أين يبدأن ... من يبدأ .. وكيف ؟

فجأة تكلم الأستاذ شوكت فى جفاء :- خير..؟

رد الزميلان فى صوت واحد مرعوش :-

- خبر ... أيوه خير ...

ونظر إلى بعضها فى بلاهة ....

ونظرة خبيثة تطل عليهما من خلف النظارة السوداء ..

وتكلم الزهيرى بعد أن لكزه جابر مشجعا ومازالا واقفين :- أصل أنا كنت عند البيه أمين السجل المدنى ....

قاطعة الأستاذ شوكت :- الأستاذ / قاسم العوه ... ثم استطرد متلعثما .. خير ... خير.....

واستغرقه الخوف .. فسرح .. بظنونه .. وأفكاره السوداء .. وتذكر ما كان قد بينه وبين الستاذ قاسم العوه ..

- أيوه يا شوكت يابنى ..

- أبوه يا عمى .... أنا جاى لسيادتك ....

وابتسم قاسم قائلا :- وما لك خايف كده .. مبروك يا سيدى .. أنا سألتها .. وهيه موافقه ..

وبفرحة غامرة هم شوكت يقبل قاسم .. وكادت نظارته السوداء تسقط من وجهة..

وعلق أبوها الحاج محروس :

- يا بنى سوسن متغلاش عليك .. ألف مبروك

***

وتساءل : هل هناك شئ قلب الفرح إلى غم .. دائما أنت هكذا يا شوكت .. لابد أن الحاج / محروس غير رأيه.. ماذا أقول للناس ... بأظ المخطط يا شوكت ..... ضاعت أحلامك يا مغرور .. أنها استشارتك السيئة يا حسين يا خويا ..

***

- لازم نخطبولك من بلد ثانية عشان القرايب تكتر ويساعدوك فى الانتخاب الجايه .... هو أنت أقل من محمود .. فضلت تقول داواد جاهل .. لغاية ما بقى عضو مجلس شعب

قـد الدنيـا ....

- ما هو كل زميلة ساعدوه ..

- مانـت موظـف أكـبر منـه ... أنـا عـارف أنـت بتخـاف مـن إيـه ..... منخطبولـك سوسـن بنـت الحـاج / محـروس ... أخـت صاحبـك الأسـتاذ قاسـم .. وآهـى مـن عيلـة كبـيرة .. وهـما يسـعادوك كويـس ..

- على خيرة الله ..

- ينصر دينك يا شوكت يا خويا .. أهو كده الشغل

***

كان شـوكت أمـين الاتحـاد الاشـتراكي غارقـا فى وساوسـه .. مسـتغرقت فى مخاوفـه وافـكاره السـوداء .. فلـم ينتبـه إلا والزهـيرى قـد انتهـى مـن سرد مشـكلته مـع أمـين السـجل .. كررهـا .. أكـثر مـن مـرة ...

وأفاق الأستاذ شوكت على قول الزهيرى وهو يقلد - البيه أمين السجل المدنى -

واستغرق الأستاذ شوكت فى الضحك ...

وتنحنح جابر فى صوت مرعوش وقال :

- طبعـا يـا بيـه حتحلنـا المشـكلة دى ... واللـه أحنـا انتخبنـاك كلنـا .. وعقبـال مجلـس الشـعب ...

وسرح شـوكت مـع أحلامـه وهـو كلـما راوده شـعور بالخـوف ... يضغـط عـلى جـدار نظارتـه .. أنـه يريـد أن يحقـق هدفـة بـأى وسـيلة ... إنـه يكـره الفشـل ..

وأخرجه الزهيرى من سكرته بقولة :- قلت إيه يا أستاذ شوكت ...

وردد شوكت فى بلاهة وهو يستعرض أحلامه ..

- حلها بسيط قوى ..

- أية هو بابيه ..

وسكت طويلا وعيون الرجلان متعلقة به تماما لا ترجف ثم قال :

- تروح يا زهيرى تطلع شهادة ميلاد وهيه اللى حتصلح الغلط ..

ووجم الزهيرى .. ونظر جابر للأستاذ شوكت بامتنان .. وقال الزهيرى فى حزن عميق :

- ما هو دا كلام البيه أمين السجل ...

وفى ضيـق ظاهـر قـال الأسـتاذ شـوكت وكأنـة ينهـى اجتماعـا :- طيـب .. خـلاص يـا أخـى .. أمـال عاملهـا مشـكله ليـه ..؟!

***

وهما سايران قال جابر معاتبا :

- بقى دا كلام يا زهيرى ... أمال تاعبنا ليه من الصبح ....

نظر الزهيرى فى يأس .. نظرة يفهمها جابر جيدا وقال :

- طيب .. أجيب منين ٤. صاغ ثمن الشهادة .

وصمت جابر .. لم يتكلم .. وودع زميله .. وكأنه يشبع جنازته ...

وعندمـا دخـل الزهـيرى منزلـة قابلتـه زوجتـه متسـائلة فى لهفـة :- خـلاص حنسـتلم التمويـن يـا بـو

قال الزهيرى فى برود من فقد طعم الكلام :

- طبعا .. طبعا .. عندما بصير الرهيرى .. زهيري .. يعنى رهيري بنقطة !

***

الفهرس

بقايا من ثوب الماضي ٧
إنها .. هى .. هى .. فى الشتاء .. و الصيف ..! ١١
الحاجـــــز ٢٥
وزيرة .. الحب .. والزواج.. ! ٣١
درس الخرس ٣٩
سقـــــوط العمـــارة ٤٣
لن تضيع أبداً ٥١
ماذا .. ؟ وأين ... ؟ ولماذا .... ؟! ٥٩
نقطة البيروقراطي ٦٣